729

روايات عبير

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Fran Richard Son

عَودةُ الغَائب

الأصليّة

روايات عبير

«عَوْدةُ الغَائب»

تَفْقدُ «دينا» زوْجَها المحْبوب في حادثٍ غامض، وبعد مُضيّ عامَيْن ونصْف على غيَابه، وبعد أن صَار خبرُ وفاته مُؤكّدًا، وافقتْ على الزواج بأحَد أصْدقائه الذي ساعدَها من جديد لكيْ تقفَ على قدميْها وتُدير شركتها وتُحقّق نجاحًا مقبولا بعد خسائر عدّة. وبعْد أسْبوع من الخِطْبة يعودُ الزوْج المفْقودُ، وقد غيّرته الأدْغال فصَارَ رجُلا بدائيًّا اعتادَ حياةَ الغابة، ويطالبُ بحقّه كزوْج، ووجدتْ «دينا» نفسَها تفقدُ كلَّ شيء: خطيبها.. رئاسة الشركات.. سَلامَها الداخلي الذي أحسَّتْه مع «شت».

فهل تَستسْلم «دينا» لسيْطرة هذا الرجل البدائيّ وتخْسر نفْسها ووظيفَتَها أم يتألّق الحبُّ الذي خَبَا ويُضيء حَياتَها من جَديد؟

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل.
سوريا	100 ل.
الأردن	1.5 دينار
السعودية	10 ريال
الكويت	750 فلس
الإمارات	10 دراهم
البحرين	1 دينار
قطر	10 ريال
مسقط	1 ريال
مصر	6 جنيه
المغرب	30 درهم
ليبيا	5 دينار
تونس	2.5 دينار
اليمن	300 ريال

ISBN 995338064 -3
9 789953 380643

العنوان الأصلي لهذه الرواية
Too Long A Sacrifice

تأليف
Fran Richard Son

الغلاف بريشة الفنان
Patrice Gordon

عودة الغائب

(729)

الناشر
المركز الدولي للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون : 666 212 9 961 00 – فاكس : 665 212 9 961 00
ص.ب 374 جونيه – لبنان
Email: info@inter-press.org www.inter-press.org

وكلاء التوزيع
دار ميوزيك – دار البشير – دار إي بي سي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعًا باتًا نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ
إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

WWW.REWITY.COM مرموريه

- 5 -

- 1 -

كان الجو صافيًا والقمر فوق «رود أيلاند» جديدًا، لكن ذهنها خيّمت عليه شبكة من العناكب... وبدت «دينا شاندلر» لا تعرف كيف تتخلص من تشوّش أفكارها. وأغلقت أذنيها عن الأصوات التي كانت تحتفل بهدوء في بقية أرجاء المنزل وحملقت عبر النافذة. سرت قشعريرة في جسمها وانسلت عيناها الزرقاوان إلى ذراعيها اللتين شبكتهما أمامها... لعل القشعريرة كانت بسبب ثقل المعدن الثمين حول أصبعها. ابتعدت «دينا» عن النافذة، وجالت بنظراتها القلقة في أنحاء المكتبة ورأت أنّ كل شيء مألوف، الرفوف المليئة بالكتب من الأرض حتى السقف، والأريكة مغطاة بالقطيفة أمام المدفأة وعلى جانبيها كرسيان، وفي أحد أركان الغرفة مكتب أنيق منظم مصنوع من خشب الماهوغاني. انفتح باب المكتبة والتفتت «دينا». وتألق شعرها في الضوء الخافت. كان لونه ذهبيًا أفتح من الخاتم الذي حول أصبعها. أغلق «شت ستانتون» الباب، وابتسم وهو يتقدم نحوها على الرغم من بريق الحيرة الذي كان في عينيه، وتمتم قائلا:

– إذن أنتِ هنا! فأومأت «دينا» برأسها وقالت:

– نعم. ولم تدرك التنهيدة التي كانت في صوتها أو الابتسامة المغتصبة التي بدت على شفتيها. وعندما اقترب منها رمقته بنظرة فاحصة. شعره مثل شعرها أشقر يتهدل على جبهته، ويغري الأصابع دائمًا بأن تزيحه إلى مكانه، وعيناه زرقاوان باهتتان على عكس لون عينيها المتألق. كان في السادسة والثلاثين من عمره، ويكبرها باثني عشر عامًا، و كان من عمر «بليك» لكن يبدو عليه جو صبياني هو جزء من سحره، والواقع أن «دينا» قابلت «شت» لأول مرة عندما كان في صحبة «بليك». ونسجت العناكب خيوطها حول تلك الفكرة لتخفيها. كان «شت» نحيلاً وقامته أطول منها بعدة

سنتميترات فقط، وتوقف أمامها وراحت نظرته الفاحصة تدرس وجهها الذي بدا دون تعبير... وعندما استقرت يداه على كتفيها لم تستجب للمسته، قال وهو لايزال يحدق إلى وجهها:

– ماذا تفعلين هنا؟

– كنت أفكر.

– هذا ممنوع! قال هذا، ثم أحاطها بذراعيه واستسلمت لعناقه. لم لا؟ كانت كتفه مكانًا يستقر عليها رأسها طوال السنتين والنصف الماضية، أغمضت عينيها فقال وهو يتظاهر بتأنيبها:

– كان يجب أن تكوني في غرفة الجلوس، تحتفلين بصخب مع الآخرين.

فضحكت «دينا» بنعومة وقالت:

– إنهم لا يحتفلون بصخب، لا يفعلون أي شيء بصخب سواء أكان فرحًا أم حزنًا.

– نعم، لكن حتى الحفل المتحفّظ يحتاج إلى وجود الخطيبين وهما أنت وأنا، وليس أنا فقط. فتنهدت وقالت:

– أعرف. لم تكن كتفه مريحة كما كانت من قبل، تخلّصت «دينا» من عناقه وشعرت بأعصابها تتوتر ثانية، إذ لم تتخلّص من إحساسها بالضيق والارتباك، وامتدّت نظرتها المضطربة إلى ظلام الليل عبر النافذة وكأنها تتوقع أن تجد الجواب هناك، وأدارت له ظهرها، فقال:

– استرخي يا حبيبتي.

– إن هذا رغمًا عني... لا أعرف إذا كنت أتصرّف التصرّف السليم. وبدا العبوس على جبينها، فقال «شت»:

– بالطبع تتصرّفين التصرف السليم.

– حقًا؟ وابتسمت نصف ابتسامة تنمّ عن الشك والسخرية من النفس، ثم استطردت تقول:

– لا أعرف كيف تركتك تستدرجني إلى هذه الخطبة. وضحك «شت» قائلاً:

– أنا استدرجتك؟ إنك تتحدثين وكأنني لويت ذراعك، ولا يمكن أن أفكر في هذا، فأنت أجمل من أن أمسّك بأي أذى!

– يا لك من متملق! وشعرت «دينا» بأنها كبرت أكثر من سنها، وقال:

– وقد حصلت عليك بهذا!

– أعرف أنني وافقت بإرادتي على هذه الخطبة. وأضاف «شت»:

– بإرادتك لكن بتردد.

– لم أكن متأكدة ولا أعرف حتى الآن إذا كنت متأكدة أم لا.

– لم أدفعك إلى اتخاذ قرار سريع، لقد منحتك كل الوقت الذي أردته؛ لأنني أفهم موقفك. ولن يتم الزفاف حتى تحددي التاريخ. إنّ اتفاقنا لا يزيد كثيرًا على خطبة تجريبية يا «دينا».

– أعرف. كان صوت «دينا» بلا عاطفة، وأدارها «شت» لتواجهه وقال:

– لقد كنت أفضل صديق لـ «بليك». وفكرت «دينا»: نعم، كان الساعد الأيمن لـ «بليك»، والآن أصبح ساعدها الأيمن، يؤيد قرارها ويدفع الابتسامة إلى شفتيها عندما تهبط روحها المعنوية وتثبط عزيمتها. واستمر يقول:

– ولذلك أعرف تمامًا شخصية زوجك، وأنا لا أحاول ولا أريد أن آخذ مكانه، كما لا أريدك أن تخلعي خاتمه من أصبعك. ودفعت ملاحظته نظراتها إلى الخاتم الألماس والخاتم الذهبي حول أصبع يدها اليسرى، وأضيف إليهما خاتم ثالث من الألماس كان خاتم خطبتها لـ «شت». وضع يده تحت ذقنها برقة وقال:

– إن كل ما أتمناه أن أستطيع بمزيد من الصبر والمثابرة أن أحفر لنفسي مكانًا في قلبك. وقالت «دينا»:

– إن لك مكانًا يا «شت»، فدونك لا أعرف ماذا كنت أفعل منذ فقدت «بليك»

www.rewity.com

عندما لم نعرف إذا كان حيًّا أم ميتًا، ثم عندما أبلغونا أنه قُتل. وأسكت بقية كلماتها بعناقه القوي وهو يقول:

– كان هذا في الماضي، وعليك أن تنسيه.

– لا أستطيع، مازلت أذكر الطريقة التي تكلمت بها مع «بليك» قبل أن يرحل ويقوم بتلك الرحلة إلى «أمريكا الجنوبية» كان يريدني أن أذهب معه إلى المطار ولكني رفضت. وتنهدت بغضب وندم واستطردت تقول:

– كانت مشاجرتنا تدور دائمًا حول أشياء تافهة، أشياء تبدو سخيفة جدًّا الآن... ورفع «شت» رأسه لينظر إلى بريق الأسى الذي كان في عينيها وقال:

– كانت مشاجرات القوي مع القوي، إنني متحيّز إلى النساء القويات العزيمة. و أغاظتها كلماته فأثارت الابتسامة التي كان يريدها وقالت:

– أعتقد أنه يتعين عليّ أن أعترف بذلك. وبدا الشرر في نظرته وقال:

– وأنا أحبك لكونك قوية يا «دينا». ثم عانقها مرّة أخرى، واستسلمت لعاطفته واستجابت لها بالحرارة نفسها شيئًا فشيئًا. لم يحدث قط أن طلب منها «شت» أكثر مما تريد أن تعطيه. كان تفهمه المتحفظ يزيد من مكانته لديها ويجعل قلبها مفعمًا بسعادة هادئة. ولمس خدها برقة وقال:

– هل تشعرين بتحسن؟

– نعم، أشعر ببعض التحسن.

– وفيم كنت تفكرين عندما دخلت؟ وامتدت يدها إلى قميصه لتعدل ياقته وقالت:

– لا أعرف، لعلي كنت أتمنى...

– ماذا تتمنين؟ سكتت «دينا» لم تكن تعرف ما الذي كانت تتمناه، وأخيرًا قالت:

– تمنيت لو أننا لم نخبر الآخرين بخطبتنا، واحتفظنا بها سرًّا لفترة، ولو لم

نقم حفل الخطبة هذا. وذكّرها «شت» قائلا:

– لم يعرف إلا الأقارب والأصدقاء، ولم نعلن نبأ الخطبة رسميًّا.

– أعرف. كانت في العادة لا تجد صعوبة في التعبير عما تريد، لكن عدم ثقتها بأفكارها جعل هذا مستحيلاً. هناك شيء ما يقلقها ولكنها لم تعرف ما هو... لم يكن السبب أنها لم تنتظر المدة المناسبة قبل أن تقرر الزواج ثانية. مضى على اختفاء «بليك» عامان ونصف العام، ومضى أكثر من عام منذ أن أخبرتها سلطات «أمريكا الجنوبية» بأنهم وجدوا حطام الطائرة، ولم يكن بينه أحياء... وليس السبب أنها لم تحب «شت» على الرغم من أن حبها له لم يكن بالطريقة العاصفة نفسها التي أحبت بها «بليك». كانت عاطفتها نحو «شت» أهدأ وألطف ولعلها أعمق، وقال وهو يبتسم:

– حبيبتي، لم يكن بوسعنا أن نخفي نبأ الخطبة عن أقاربنا وأصدقائنا. إنهم أيضًا يحتاجون إلى وقت حتى يتكيفوا مع فكرة أنك لن تعودي السيدة «بليك شاندلر». قالت «دينا» معترفة:

– هذا صحيح. فلم يكن من الممكن أن تُغرس الفكرة في أذهانهم بين يوم وليلة. وانفتح باب غرفة المكتبة ووقفت على عتبته امرأة أكبر سنًّا ترتدي ملابس سوداء، وبدت ابتسامة رقيقة على فمها وهي ترى الاثنين يتعانقان. وتوترت «دينا» لحظة بين ذراعي «شت» ثم انتزعت نفسها وهدأت. وقالت المرأة بشيء من العتاب:

– كنا نتساءل إلى أين ذهبتما؟! لقد حان الوقت لتعودا إلى الحفل وتتلقيا بعض الأنخاب. وردت «دينا» على المرأة التي كانت أم «بليك» وحماتها، وقالت:

– سنعود بعد دقيقة يا ماما «شاندلر». كانت «نورما شاندلر» نموذجًا لسيدة المجتمع التي تنتمي إلى النوادي الاجتماعية، والحفلات التي تقام لجمع الأموال للأعمال الخيرية... ودورها في الحياة هو الدور التقليدي الذي يتركز

www.rewity.com

في بيتها وأسرتها، وبعد أن مات زوجها وابنها تشبثت بـ «دينا» باعتبارها أسرتها وبيتها ومأمنها. قالت «نورما شاندلر»:

– إذا لم تعودا فإن المدعوّين قد ينتقلون إلى هنا، ولا تتسع الغرفة لهم.

وأضاف «شت» وعده إلى وعد «دينا» فقال:

– سنعود بعد دقيقة يا ماما «شاندلر». فأومأت المرأة برأسها وأغلقت الباب، ونظر «شت» إلى «دينا» وسألها:

– هل تعتقدين أن باستطاعتك إقناعها بعدم ارتداء ملابس سوداء في حفل زفافنا؟ وابتعدت عنه ولاحت ابتسامة ساخرة باهتة على شفتيها وقالت:

– أشك في هذا! إن «نورما شاندلر» تحب أن تظهر في صورة شخصية مأساوية. بعد أسابيع قليلة من زواج «دينا» و «بليك» كان أبوه «كايل شاندلر» قد توفي فجأة إثر أزمة قلبية. واشترت «نورما شاندلر» خزانة كاملة من الملابس السوداء، وما إن كادت تخلع ملابس الحداد حتى تلقّت نبأ حادث سقوط طائرة «بليك». وبدأت السيدة «شاندلر» ترتدي الملابس السوداء، ولم تنتظر النبأ الذي ورد منذ عام بأن ابنها يعتبر ميتًا رسميًا. فسأل «شت»:

– إنها توافق على زواجنا وأنت تعرفين هذا، أليس كذلك؟

– بلى. إنها توافق عليه... من أجل الشركة. والواقع أن موافقتها كانت ترجع أيضًا إلى أنها لم تكن تريد أن تصبح هناك أرملتان لأسرة «شاندلر»، لكن «دينا» لم تصرّح بذلك خشية أن يبدو هذا جحودًا نحو حماتها التي تفنى في حبها لها. قال «شت» وهو يهز رأسه:

– إن الأم «شاندلر» لا تعتقد حتى الآن أنك قادرة على إدارة الشركة بعد كل هذه المدّة.

– لم أكن لأستطيع ذلك دونك يا «شت». قالت «دينا» هذا وكأنها تقرّ حقيقة ولا تعبّر عن امتنانها نحوه. وضع يده حول خصرها بينما بدأت تسير نحو الباب لتغادر الغرفة وقال:

– إنني معك، ولا تقلقي في هذا الشأن. وبينما كان «شت» يتقدمها ليفتح لها الباب، تذكرت تلك اللحظة الجامدة التي فتحت فيها «نورما شاندلر» الباب منذ لحظات، وتساءلت ترى هل خطرت على بال حماتها الفكرة نفسها التي خطرت على ذهنها؟ كانت «دينا» قد تذكّرت المرات العديدة التي كانت السيدة «شاندلر» تفتح فيها باب غرفة المكتبة وتجد «دينا» جالسة على حجر «بليك» مستكينة بين ذراعيه. وفي هذه المرّة كانت بين ذراعي «شت» بدلاً من ذراعي «بليك»، وتساءلت... ترى هل كانت حماتها تدرك الفارق الشاسع بين الرجلين كما أدركته هي؟ في الشهور الأخيرة بعد أن تأكد نبأ موت «بليك»، وأصبح لديها وقت للتفكير، حاولت أن تتخيل ماذا كان يمكن أن يكون عليه العامان والنصف العام الماضي لو كان «بليك» حيًا؟ كان زواجهما قصيرًا عاصفًا ينذر بمزيد من السنوات التي من النوع نفسه. وهناك دائمًا احتمال بأن أية معركة قد تضع نهاية لهذا الزواج... أما «شت» فقد كان دائمًا يتوقّع ماسيحدث، وكانت المدة التي تقضيها «دينا» معه سارة دائمًا... وتحت حمايته وتأييده اكتشفت في نفسها مهارات وقدرات لم تكن تعرف أنها تتمتع بها، لقد وجه ذكاءها إلى مجالات بناءة، ووسع مداركها بدلًا من تضييع الوقت في مشاجرات كما كان يحدث بينها وبين «بليك»، وكانت شخصيتها قد نضجت بسرعة نظرًا لظروف اختفاء «بليك»، وقد أصبحت امرأة واثقة بنفسها. وتعتقد أن الفضل في كل هذا يرجع إلى «شت». تلاشت بعض مخاوفها عندما ذهبت مع «شت» لينضما إلى الحفل. لم يكن هناك ما يدعو إلى عدم استمتاعهما بالحفل، وعندما عادا إلى غرفة الجلوس الواسعة أحاط بهما المدعوّون وغمروهما بأطيب التمنيات. وبدا كل شخص وكأنه يحترم الأثاث الفاخر المكدس في الغرفة، واللوحات الفنية الرائعة. والجو يوحي بضرورة اتباع الرسميات والآداب الاجتماعية. قال «سام ليفسك» بصوت شدّ انتباه الحاضرين لغيابهما عن الحفل:

www.rewity.com

– إذن لقد وجدتهما يا «نورما»! ثم غمز بعينيه لـ «دينا» وأضاف:

– من المؤكد أنهما كانا في ركن منعزل. إن هذا يذكرني بالمرات التي كنت فيها تتسللين مع «بليك» في أحد الأركان لتتعانقا يا «دينا». ونظر إلى كأسه وقال:

– إنني أفتقد هذا الرجل. كان تعليقًا شاردًا وكأنه يعبر عن أفكاره بصوت مرتفع. وامتلأ الجو بالتوتر. واستطاع «شت» بدبلوماسيته المعتادة أن يعيد الهدوء. فقال برقة وهو يضع ذراعه حول كتفي «دينا»:

– كلنا نفتقده يا «سام».

– ماذا؟ واستدرك متابعًا:

– بالطبع نفتقده. لكن هذا لا يمنعنا من أن نتمنى لكما كل السعادة في حياتكما. ورفع كأسه وطلب من الآخرين أن يشربوا نخب السعادة والمستقبل المشرق لـ «دينا» و «شت». واحتفظت «دينا» بمظهرها الذي ينم عن السعادة. ولكنها أحست بشعور غريب. لأن المحتفلين بحفل خطبتها لـ «شت». معظمهم من أقارب وأصدقاء «بليك». بينما كانت هي نفسها دون أسرة. فقد قُتل أبواها في حادث تصادم سيارة قبل أن تلتقي بـ «بليك» بعام. ولم يكن لها أقارب مقربون تدعوهم. أما أسرة «شت» فكانت تقيم في «فلوريدا». كان من الصعب عليها هي و «شت» أن يرفضا طلب «نورما شاندلر» عندما عرضت عليهما أن تقيم حفلاً بمناسبة خطبتهما. ووجدت «دينا» أن هذه هي أسرع وأسهل وسيلة لإبلاغ كل أقارب وأصدقاء «بليك» نبأ قرارها قبول عرض «شت» بالزواج. ولم تجهل دوافع حماتها. فقد كانت «نورما شاندلر» تريد أن تظل قريبة منها. إذ إن كل غرائزها أمومة. و «دينا» هي التي بقيت للأم «شاندلر». لكن اتضح أن حفل الخطبة أثار قلق «دينا» أكثر مما توقعت. ولم يستطع أحد من المحتفلين أن يلحظ هذا. لأن «دينا» تعرف جيدًا كيف تخفي مشاعرها. ولم يستطع حتى «شت» نفسه أن يشك في أنها لا تزال

تعاني المخاوف عندما قبّلها وانصرف. وفي نهاية الأسبوع كان خبر خطبتهما قد وصل إلى المكتب الرئيسي لشركة فنادق «شاندلر» في «نيوبورت»، قضت «دينا» معظم الصباح تؤكد الإشاعات بأنها خطبت لـ «شت»، ولم ينس أي موظف في الشركة أن يمر بمكتبها ليقدم تهنئته ويوجه نظراته المتسائلة. كان فوق مكتبها رسائل تنتظر الرد، وتقارير تحتاج إلى القراءة، ومذكرات كثيرة يجب أن ترسل. وضعت «دينا» مرفقيها فوق المكتب وأسندت جبهتها إلى يديها وقد عقدت شعرها الأشقر إلى الوراء، وأضافت هذه التسريحة عدّة سنوات إلى مظهرها الشاب، وكانت تحرص على ارتداء ثياب لا تلفت الأنظار إلى شبابها في المكتب، وفي هذا اليوم كانت ترتدي بلوزة عاجية اللون بكُمّين طويلين وتنورة أنيقة ولكنها تليق بمكان عمل، وسمعت صوت التليفون الداخلي فضغطت على الزر وجاء الرد من سكرتيرتها تقول:

– «هاري لاندرز» هنا ويريد مقابلتك يا سيدة «شاندلر». وكانت سكرتيرتها «آمي ونتورث» الموظفة الوحيدة التي تصغر «دينا»، فأجابت «دينا»:

– دعيه يدخل. التقطت نظارة القراءة ووضعتها على عينيها، وعندما انفتح الباب لاحت ابتسامة مهذبة على فم «دينا» وقالت:

– صباح الخير يا «هاري». فابتسم الرجل الطويل ذو الشعر الأبيض ورد التحية قائلاً:

– صباح الخير يا سيدة «شاندلر». كان «شت» وحده هو الذي يناديها باسمها الأول في المكتب، ولايفعل هذا إلا عندما يكونان وحدهما... وأضاف قائلاً:

– سمعت لتوي أنك ستتزوجين بـ «شت»، مبارك. فأومأت برأسها وقالت للمرة المائة تقريبًا في ذلك الصباح:

– أشكرك. ولم يكن في نظرته إليها سؤال صامت لم يوجه، وأضاف:

– إنني مسرور جدًا من أجلك يا سيدة «شاندلر»، أعرف أن البعض هنا يعتقد أنك لم تصوني ذكرى «بليك» بالزواج مرة أخرى، لكني أرى أن زواجك الآن

يدل على أنك كنت سعيدة مع «بليك».

– حقًّا؟ هل تعتقد هذا؟ كان صوتها باردًا، فلم تكن لتريد أن تدخل في نقاش عن حياتها الخاصة على الرغم من أن فضولها زاد كثيرًا وهي تحاول متابعة منطقه.

– فهمت. كانت ابتسامته باهتة ينقصها الدفء، وأردفت:

– لقد كان زواجي بـ «بليك» سعيدًا، وأعرف أن زواجي بـ «شت» سيكون سعيدًا أيضًا.

– ومتى الزفاف؟

– لم نحدد الموعد بعد.

– أرجو أن ترسلي إليّ دعوة.

– سنفعل بالطبع. كانت «دينا» تأمل في زفاف هادئ دون ضجة تتبدّد تحت كثرة طلبات الراغبين في الحضور، وكادت تفكر في الهروب مع «شت»! قال «هاري لاندرز» وهو يبتسم برقة:

– على الأقل لن تضطري إلى أن تزعجي نفسك بأمور الشركة بعد الزواج.

– عفوًا... ماذا تقول؟ لقد تنبهت «دينا» فجأة ولم تعد تردد الكلمات المهذبة التي ظلت تكررها طوال الصباح، فأجاب:

– بعد الزواج تستطيعين أن تكوني ربة بيت بسيطة، إنّ «شت» يستطيع أن يدير الشركة بكفاءة. تساءلت «دينا» لماذا يركز في كلمة «بسيطة» وقالت:

– إن زواجي بـ «شت» لن يؤثر في الشركة، سوف نظل نديرها سويًّا. قالت ذلك وهي لا تريد أن تتذكر أن «بليك» وحده كان يقوم بهذا العمل، والتفتت إلى الأوراق التي فوق مكتبها وقد بدت غاضبة، وقالت:

– إنني لا أرى التقرير الشهري الذي يأتي من فندق «فلوريدا»، هل وصل؟

– لا أعتقد ذلك. وشعر الرجل بتغييرها المفاجئ للموضوع، إنها تحذره من السير في أرض ممنوعة، وتحولت صراحته السابقة إلى التمسك بالرسميات،

وسألته:

– إن «فرانك ميللر» هو المدير هنا، أليس كذلك؟

– بلى.

– اتصل به واسأله عن التقرير، أريد أن يكون على مكتبي في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم، حتى إذا اضطر إلى أن يحصل عليه بالتلكس.

– سوف أفعل هذا يا سيدة «شاندلر». وعندما أغلق الباب وراءه نهضت «دينا» وسارت نحو النافذة. كانت تشعر برجفة الغضب، لقد أدارت الشركة بمساعدة «شت»، لكن بعض الموظفين لا يزالون غير معترفين بقدرتها على شغل هذا المنصب، فعندما اختفى «بليك» في أثناء رحلته إلى «أمريكا الجنوبية» كانت الشركة أشبه بسفينة دون ربان، دون توجيه أو إدارة، واستمرت تعمل في هدوء فترة، ولكنها بدأت تتعثر في يأس. كان الأعضاء الأساسيون في الهيئة التنفيذية الذين يستطيعون تولّي إدارة الشركة بكفاءة قد استقالوا ليشغلوا مناصب في شركات أكثر ضمانًا، وكأنهم فئران تركوا السفينة تغرق، وعندئذ اضطرت «دينا» إلى أن تتدخل بفضل اسم «شاندلر». لم يكن الأمر سهلاً، ففرص النجاح أمامها ضئيلة؛ لأنها صغيرة، ولأنها امرأة تجهل طرق إدارة الشركة، إلى جانب خبرتها المحدودة، وصعب عليها فرض سلطتها، فقد كان معظم كبار الموظفين في سن أبويها، وبعضهم مثل «هاري لاندرز» في سن جدّيها! واستطاعت «دينا» أن تتعلم بالطرق الصعبة والتجربة والأخطاء الكثيرة. كان يتعين عليها أن تحتفظ لنفسها بمخاوفها وقلقها على «بليك»، واكتشفت بسرعة أن الرجال الذين يمنحونها أكتافًا تبكي عليها كانوا أيضًا يصرون على منحها قلوبهم! وفي الأيام الأولى اتجهت إلى «شت» أكثر فأكثر، كانت مساعدته لها خالية من الأنانية والطلبات، لم يحدث قط أن قام بأية محاولة تودّد نحوها إلاّ بعد أن تحقق نبأ وفاة «بليك» بعدة شهور. كانت تثق به كثيرًا، والواقع أنه لم يعطها سببًا واحدًا لتشك فيه، لكن «هاري لاندرز»

www.rewity.com

وضع سؤالا في ذهنها، سؤالا لم تكن «دينا» تحب أن تواجهه، ولكنها لم تستطع أن تتهرب منه ! عادت «دينا» إلى مكتبها وهي تهزّ رأسها، وسمعت طرقة سريعة على باب مكتبها تلاها صوت فتح الباب دون أن ينتظر الطارق إذنها بالدخول، فالتفتت إلى الباب فوجدت «شت»، قال هامسًا في سرية مبالغ فيها:

– لن تخمني أبدًا ما سمعته لتوّي. قالت «دينا» وهي متوترة:

– ماذا سمعت؟

– إن «شت ستانتون» سوف يتزوج السيدة «شاندلر»! ولم يكن لدى «دينا» فكرة عما توقّعت أن يقوله، فضحكت من ردّه بخليط من البهجة والارتياح أزال بعض توترها، وسألته:

– إذن لقد سمعت هذه الإشاعة أيضًا!

– هل تمزحين؟ قال ذلك بطريقة صبيانية جعلتها تحبّه أكثر، ومضى قائلاً:

– منذ الساعة التاسعة صباحًا وأنا أحاول الوصول إلى مكتبي ولم أنجح حتى الآن، وكل شخص يوقفني في الطريق... إن هذه الردهة الطويلة عذاب حقيقي. فعرفت شعوره، وقالت:

– كان يجب أن نجمع العاملين هذا الصباح ونعلن النبأ ثم نعود إلى أعمالنا.

– لقد حدث ما حدث يا حبيبتي. وتقدم نحوها وعانقها ووافقته «دينا» قائلة:

– نعم، حدث ما حدث. وخلعت نظارتها وتظاهرت بالتركيز فيها وهي تضعها فوق مكتبها. وأضافت:

– وبعد أن علم الجميع بالنبأ، ينتظرون مني الآن أن أقدّم استقالتي وأرشحك خلفًا لي على عرش «شاندلر». وراقبت ردّ فعل «شت» عن كثب دون أن تجعله يلحظ هذا، فأجاب دون تردد:

– آمل أن تبلغيهم الحقيقة في هذا الشأن، بأننا نكوّن فريقًا رائعًا، ومن المؤكد أنه لا يوجد أي سبب يجعلنا نحطم فريقًا ناجحًا في الشركة لمجرد أننا سنتزوج. قالت موافقة:

– وهذا هو رأيي. لمس كتفيها وأدارها لتواجهه، ومال برأسه بطريقة متسائلة وقال:

– هل قلت لك هذا الصباح كم أنت جميلة؟ فأجابته باللهجة الجادة نفسها التي استخدمها:

– لا، ولكنك تستطيع أن تقول لي الآن.

– إنك جميلة جدًا يا حبيبتي. وضمّها إليه، وبينما كان يحاول تقبيلها سمعت رنين جرس الاتصال الداخلي، فضغطت على الزر وقالت:

– نعم يا «آمي». وأتى الرد:

– «جاكوب ستون» على الخط رقم واحد.

– شكرًا. نظرت «دينا» إلى «شت» وهي تهزّ كتفيها باستسلام، فقال «شت»:

– «جاكوب ستون»؟ إنه محامي أسرة «شاندلر»، أليس كذلك؟ وأومأت برأسها وهي تمسك بسماعة التليفون وتقول:

– ربما هناك شيء يتعلّق بمزرعة «بليك».

– وهذا يدفعني إلى الخروج. سألته «دينا»:

– العشاء الليلة في الساعة الثامنة.

– رائع.

– اتصل بالأم «شاندلر» وأخبرها بأنني دعوتك. وضغطت بأصبعها على زر الخط رقم واحد، وراقبته «دينا» وهو يغادر الغرفة. كان «هاري لاندرز» جعلها تشك لبضع دقائق في أن «شت» ربما يتزوجها حتى يرفع من مركزه في الشركة، لكن رفضه السريع العابر لفكرة أن يصبح رئيسًا للشركة قضى على

www.rewity.com

هذه الشكوك، ومرة أخرى عادت ثقتها به كاملة وقالت:

– مرحبًا بالسيد «ستون»، «دينا شاندلر» تتحدث. ورد الصوت الأجش قائلا:

– أوه سيدة «شاندلر»، كيف حالك؟

– أنا بخير، أشكرك.

- 2 -

استيقظت «دينا» صباح يوم السبت مع بزوغ الشمس ولم تستطع العودة إلى النوم، وأخيرًا توقفت عن المحاولة فنهضت من فراشها، وارتدت بنطلونًا وبلوزة بيضاء وفوقها سترة صوفية. كانت أم «بليك» و «ديدر» المشرفة على البيت، وهما الشخصان الآخران في المنزل، لا تزالان نائمتين. رتبت «دينا» الغرفة بسرعة وغطت السرير. كانت الملابس التي ارتدتها في الليلة السابقة، ملقاة فوق وسادة الأريكة الصغيرة، فعلّقتها «دينا» وطوت إيشارب العنق ووضعته في مكانه في الدرج... وفي داخله لمعت الحافة المذهّبة لإطار صورة مقلوبة على وجهها تخفي «بليك». كانت فوق الطاولة الصغيرة المجاورة للسرير حتى اليوم الذي أعطاها فيه «شت» خاتم الخطبة. أما الآن فهي مودعة في الدرج؛ لأنها صورة الماضي ولا صلة لها بالحاضر. أغلقت «دينا» الدرج ونظرت حولها في الغرفة. وبدا كل شيء مرتبًا. بعد اختفاء «بليك» منذ عامين ونصف لم يكن من الحكمة أن تعيش كلٌ من «دينا» وأمه حياة مستقلة في منزل منفصل، خاصة عندما بدأت الأيام تمتد إلى أسابيع ثم شهور، وفي نهاية الأمر أجّرت «دينا» الشقة التي أقامت فيها مع «بليك» وسط المدينة، وانتقلت إلى الضواحي لتقيم مع أمه. اعتقدت أن هذا يهون عليها وحدتها ويزودها بمخرج من مخاوفها الداخلية، لكن هذا لم يحدث في الواقع، فقد

كانت «دينا» تقضي الجزء الأكبر من وقتها تسرّي عن الأم «شاندلر»، كما كانت تدعو حماتها، ولم تتلقّ سوى عزاء قليل مقابل ذلك، ومع هذا كان الترتيب مناسبًا، فقد ضمن لها مكانا للنوم والأكل، وغيرها يتولى القيام بكل أعمال البيت والطهو. وبعد أن أصبحت تكرّس معظم وقتها وطاقتها لإدارة الشركة أصبح لهذا الترتيب قيمة كبيرة ومهمة. خرجت «دينا» من البيت في الفجر على أطراف أصابعها وهي تتوق إلى عزلة منزلها الخاص بها، حيث تستطيع أن تتسلل إلى المطبخ وتعد إفطارًا مبكرًا في الصباح دون أن تشعر بأنها تتطفل، وعندما أغلقت الباب واتجهت إلى الدرج المؤدي إلى المدخل حيث وقفت سيارتها البورش البيضاء، رنّ جرس التليفون عاليًا في صمت الصباح المبكر، فتوقفت «دينا» وبدأت تبحث في كيس نقودها الكبير عن مفتاح المنزل. لم تكن تستخدمه إلا نادرًا، وقبل أن تجده توقف رنين جرس التليفون، وانتظرت عدة دقائق لترى إذا كان سيرن ثانية، وفكرت «دينا» في أن شخصًا في المنزل ردّ عليه أو لعل المتحدث قرر الاتصال في وقت لاحق من الصباح... فهبطت الدرج بسرعة واتجهت نحو السيارة البورش وأغلقت غطاءها قبل أن تجلس إلى مقعد القيادة وتدير المحرك، وانطلقت السيارة في الشوارع الهادئة وهزت «دينا» رأسها وتخللت بأصابعها الباردة خصلات شعرها الذهبي الحريري... وضاقت عيناها الزرقاوان في تصميم، بينما انعطفت بالسيارة بعيدًا عن الشارع الذي يؤدي إلى مبنى الشركة، واتجهت – في عزلة – نحو شاطئ على المحيط في الصباح الباكر. جلست «دينا» على قطعة من الخشب جرفتها المياه، وأخذت تراقب نهاية شروق الشمس على «رود أيلاند». هذه إحدى المرات التي تفكر فيها في أشياء كثيرة وهي جالسة، ولكنها لا تستطيع أن تتذكر شيئًا واحدًا منها عندما تنهض وتغادر المكان. كانت الساعة التاسعة صباحًا وهو الوقت الذي تصل فيه عادة إلى المكتب لتعمل نصف يوم، لكن «دينا» لم تستطع أن تفكر في أمر واحد

يعتبر عاجلاً إلاّ الأمر الذي اتصل بها بشأنه محامي العائلة في بداية الأسبوع. وعادت إلى سيارتها البورش التي تركتها بجانب الشاطئ واتجهت إلى أقرب تليفون حيث توقفت وطلبت المكتب وقالت:

- «آمي». أنا السيدة «شاندلر». لن آتي إلى المكتب اليوم. لكن عندك بعض الرسائل أريد أن تكتبيها على الآلة الكاتبة هذا الصباح. وأجابت سكرتيرتها الشابة:

- لقد بدأت كتابتها بالفعل.

- رائع. عندما تنتهين من كتابتها اتركيها على مكتبي ويمكنك الانصراف. أراك يوم الاثنين. ثم وضعت السماعة مكانها، وعادت إلى السيارة واستقلتها متجهة إلى حيث أرسى «بليك» زورقه الشراعي. قفزت «دينا» من السيارة وابتسمت للرجل الذي لم يكن قد تغيّر منذ حوالي ثلاث سنوات. وقالت:

- صباح الخير يا كابتن «تيت». وانتظرت ليرد على التحية بصوته البطيء ولهجة «نيو إنغلاند» المتميزة. كان شخصية عجيبة ويعتز بذلك. واعتدل بكرسيه وأزاح بيده الكبيرة قبعته من فوق رأسه، وحملق إليها بعينيه الرماديتين دقيقة قبل أن يتعرّف إليها. فنهض واقفًا وقال:

- كيف حالك يا سيدة «شاندلر»؟ ردت «دينا»:

- لم أرك منذ فترة طويلة جدًا. كيف حالك؟

- بخير يا سيدة «شاندلر». وابتسم صاحب المرسى ونجح في مدّ ابتسامته إلى خديه المترهلين وأضاف:

- أعتقد أنك حضرت إلى هنا لإخلاء زورقك «ستارفش». لقد أسفت جدًا عندما أخبرني محاميك بأنك سوف تؤجرينه.

- أعرف. لكن لم تكن هناك فائدة من إبقائه هنا دون استعمال. واختفت ابتسامتها. كان التخلّص من الزورق أشبه بإغلاق الفصل الأخير حول «بليك» من حياتها. وقال صاحب المرفأ بإصرار:

- إنه زورق جميل. من يدري.. لعلك تحتاجين إليه في يوم من الأيام. وسعل قليلاً وهو يدخل الغرفة الصغيرة ليأتي بالمفتاح. وقالت «دينا» وهي تضحك:

- أنت تعرف أنني لست بحارة ماهرة يا كابتن «تيت». وأحتاج إلى زجاجة كاملة من حبوب دوار البحر لمجرد أن أخرج بها من المرسى من غير أن أصاب بالدوار! فقهقه قائلاً:

- وأنت تنامين طوال الوقت! لن أنسى تلك المرة التي جاء «بليك» من الزورق وهو يحملك وقد استغرقت في نوم عميق. وقال لي فيما بعد إنك لم تستيقظي حتى الصباح التالي.

- كانت هذه آخر مرة اقترح فيها أن أركب معه الزورق. وأخذت المفتاح الذي أعطاها إياه وبدأت الذكريات تتوارد إلى ذهنها وهي تحاول أن تزيحها بعيدًا. قال لها «تيت»:

- هل تريدين أية مساعدة على إخلاء الزورق مما فيه؟

- كلا. أشكرك. أستطيع أن أتولى الأمر وحدي. قالت ذلك وهي لا تستطيع أن تتصور نفسها في القمرة الصغيرة مع الكابتن «تيت» وكرشه البارز. ولوّح بيده المجعّدة وهو يقول:

- يجب أن تستدعيني إذا احتجت إلى أي شيء.

- أجل. ولوّحت «دينا» بيدها وهي تسير في المرسى الطويل. كانت الأعمدة الطويلة والقصيرة والمتوسطة تقف في صفوف متقطعة على طول المرسى. وقد طُويت الأشرعة واستقرت الزوارق ساكنة على صفحة الماء الهادئ. وقادت الذكريات خطواتها. على الرغم من أنها لم تكن قد أبحرت مع «بليك» إلاّ نادرًا بعد أول محاولتين فاشلتين لها في الإبحار. إلاّ أنّ «دينا» كانت غالبًا ما تأتي إلى المرسى لتنتظر عودته. أما الآن فإن «بليك» لن يعود. كان اسم «ستارفش» مكتوبًا بحروف بارزة على ظهر الزورق الأبيض. توقفت «دينا»

www.rewity.com

وأحسّت بضيق في حلقها، ثم خطت نحو ظهر القارب وهي تلوم نفسها. كان ظهر القارب الخشبي قاتمًا، ولم يعد لامعًا متألقًا كما كان «بليك» يحتفظ به. كانت هناك عقبات قانونية كثيرة تحيط باختفاء «بليك»، ثم تحوّلت إلى تعقيدات عند إبلاغ نبأ وفاته. كانت مزرعته لم تتم تسويتها بعد، لذلك لم يكن في استطاعتها بيع الزورق حتى تصدر المحكمة قرارًا بالتصرف في ممتلكاته. كان الزورق «ستارفش» مهجورًا منذ اختفاء «بليك»، وكان كل شيء على ظهره في المكان نفسه الذي تركه فيه صاحبه بعد رحلته الأخير. فتحت «دينا» القمرة لتحزم كل حاجاته، وعندما فتحت الأدراج والأبواب أدركت أن على ظهر الزورق أشياء أكثر مما توقعت. كان منظر أكوام الأطعمة المعلبة في الصوان يبعث السرور في نفس أي شخص يحب الطعام الجيد، فقد كان «بليك» دائمًا دقيقًا في طعامه وفي الطريقة التي يعده بها. كان أول إجراء هو أن تأخذ فكرة عامة عما يجب أن تفعله، واستمرت في فحص محتويات القمرة، وبعثت الملابس النظيفة – وإن كانت عفنة الآن – ابتسامة إلى شفتيها، كان أمرًا مضحكًا أن تفتر ذاكرة المرء عن أشياء صغيرة مدى فترة قصيرة لا تتعدّى سنوات قليلة. إن نظرة واحدة إلى ملابسه بعثت كل الذكريات. كان «بليك» دقيقًا جدًا في ملابسه ويبدو دائمًا نظيفًا أنيقًا، ولم تستطع طبقة الغبار الرقيقة أن تخفي البياض الناصع لحذائه المطاط. ولم تتذكر «دينا» مرة واحدة رأته فيها يرتدي ملابسه بطريقة يمكن أن توصف بأنها مهملة، وكان ذلك يضفي عليه قليلاً من الغطرسة، لكن هذه السمة لم تفارقه قط، وقد اعتاد «بليك» الأشياء الطيبة، منزلاً جميلاً وطعامًا شهيًا وملابس أنيقة خاصة، هل معنى هذا أنه كان مدللاً أم متغطرسًا؟ ربما. هكذا اعترفت «دينا»، كان أقرب إلى فتى عابث عندما التقت به، يتمتّع بسحر مدمّر إذا أراد أن يستعمله، كان ذكيًا ذكاءً خارقًا، منظمًا إلى أقصى حد ومثيرًا، ومن الصعب الحياة معه. لم يكن مثل «شت» في أي شيء – هكذا

اعترفت مرة أخرى، لكن ما فائدة المقارنة بينهما؟ وما الذي يمكن أن تكسبه من مقارنة حذلقة «بليك» الناعمة بطبيعة «شت» البسيطة؟! هزت كتفيها عندما تشوشت أفكارها، وابتعدت عن الملابس حتى لا تفكر في الأسئلة التي لم تجد لها إجابات! ظلّت تعمل على ظهر الزورق جزءًا كبيرًا من النهار، تحزم ثم تحمل أمتعة «بليك» إلى السيارة البورش، حيث كدستها في كل ركن من السيارة الصغيرة، وبعد ذلك بدأت تزيل آثار الغبار والملح اللذين تراكما على مر السنين، وعرّضت الوسائد للشمس والهواء، ولمعت كل الأجزاء الخشبية في الداخل، وبعد أن اتسخت ثيابها وتصبب منها العرق وشعرت بالإرهاق، أعادت المفتاح إلى حارس المرسى المتجهم، ومع ذلك خففت هذه المهمة الشاقة عن نفسها، ومن الغريب أنها تركتها وهي تشعر بالانتعاش، كانت في الأيام الأخيرة تبدّد كل طاقتها ذهنيًا، وشعرت بالراحة في العمل الجسماني الشاق. كانت تدندن لنفسها عندما انعطفت بسيارتها البيضاء إلى الطريق الذي تقيم فيه مع حماتها، وعندما لمحت «دينا» السيارات الكثيرة الواقفة أمام المدخل قطّبت، وهدأت من سرعة سيارتها، واضطرت إلى تركها على مسافة من المنزل. لم يكن هناك أي حفل عشاء، أو لعلها نسيت... هكذا تساءلت بينها وبين نفسها. كانت السيارات تشبه تلك التي يملكها بعض أصدقاء الأسرة المقربين، والسيارة الكاديلاك الفضية الخاصة بـ «شت»، نظرت إلى ساعتها... كان قد أخبرها بأنه سيمر عليها في الساعة السابعة ليصحبها ويتناول معها العشاء في الخارج، والساعة الآن لا تتجاوز الخامسة. زمّت شفتيها علامة على الاستياء، فقد كانت تتمنى أن تغوص في حمام من فقاعات الصابون العطرة لمدة ساعة، لكن كان واضحًا أنها ستحرم من هذا الترف الآن، ولماذا لم تخبرها الأم «شاندلر» بأنها ستقيم حفلاً هذا المساء؟ لم يكن من طبيعتها أن تخفي عنها شيئًا. شعرت «دينا» بالحيرة فأغلقت نوافذ سيارتها، لم يكن الوقت مناسبًا لتنقل الحقائب من السيارة إلى المنزل فنزلت،

www.rewity.com

وبينما كانت تدخل المنزل سمعت أصواتًا سعيدة تتحدّث مع بعضها وتنبعث من غرفة الجلوس. كانت الأبواب المزدوجة المصنوعة من خشب الزان والتي تؤدي إلى الغرفة مغلقة تخفي أصحاب الأصوات. كان البهو خاليًا بجدرانه الصفراء الباهتة المحلاة بخشب الزان. وأغراها الدرج العريض المؤدي إلى الطابق الثاني، وترددت ثم قررت أن تصعد لتغتسل بسرعة وتستبدل ثيابها قبل أن يتنبه أحد لعودتها. ولكنهم تنبهوا لعودتها. فبينما بدأت تعبر البهو وتتجه نحو الدرج، انفتح أحد الأبواب ببطء فاتسعت عيناها عندما تسلل منه «شت»، وقد بدا التوتر والانزعاج على ملامحه الوسيمة، وقال بصوت فيه لمحة يأس:

– أين كنتِ؟ ولولا النبرة المرحة للأصوات الأخرى، لكان من المحتمل أن تخمّن «دينا» أن مصيبة ما قد حلّت عليهم من تعبير وجه «شت». فأجابت:

– في المرسى. وكرر قائلاً وهو لا يصدق:

– المرسى! ومرة أخرى بدا التوتر المخنوق في صوته وهو يقول:

– يا إلهي! لقد اتصلت بك في كل مكان أحاول أن أجدك، ولم يخطر المرسى على بالي إطلاقًا. ماذا كنت تفعلين هناك بحق السما؟

– كنت أفك الزورق وأنظفه. قالت «دينا» ذلك وهي تحاول أن تفكر في الأزمة التي جعلت «شت» يحتاج إلى أن يتصل بها بسرعة:

– ألم تجدي يومًا آخر من بين كل الأيام؟ قاطعته «دينا» بحدّة قائلة:

– ماذا حدث؟ كان سلوكه يثير القلق وهي لا تستطيع أن تجد سببًا لذلك.

– اسمعي. هناك شيء يجب أن أخبرك به. وبلّل «شت» شفتيه بعصبية، وجالت عيناه الزرقاوان الرماديتان في وجهها وكأنه يحاول أن يعرف شيئًا من تعبيرها. وأضاف:

– ولكنني لا أعرف كيف أخبرك.

– ما هو؟ فأمسكها من كتفيها. كان وجهه جادًا على نحو مفزع وهو يحملق مليًا إلى عينيها. وأصبحت عضلاتها متقلصة وتألمت من شدة قبضته. وبدأ يقول:

– إن الأمر... ولكنه لم يزد على ذلك. فقد قاطعه صوت أجش لرجل يقول:

– يبدو أن «شت» يعتقد أنك سوف تصابين بصدمة عندما تكتشفين أنني لا أزال حيًا! واهتزت الأرض تحت قدميها. واستطاعت «دينا» أن تستدير قليلا على قدميها اللتين تهاوتا تحتها، وجذبها الصوت بقوة مغناطيسية. وأحست بالدوار عندما رأت صاحب الصوت. ولكنها ظلت واقفة. كانت هذه اللحظة أشبه بحلم غير حقيقي، بل أقرب إلى كابوس... إنها دعابة قاسية من أي شخص يخطر له أن يقف في مدخل غرفة الجلوس يبدو مثل «بليك» ويقلّد صوته، وحملقت بلا كلام إلى الجسم الطويل الواقف. كان فيه شبه كثير من «بليك»: الجبهة العريضة والفك والخدان المنحنيان، والذقن القوي والأنف المستقيم على نحو كلاسيكي. ومع ذلك هناك اختلافات أيضًا. فالشمس أحرقت وجه هذا الرجل وجعلته قاتمًا خشنًا. وأضفت صلابة على الملامح التي كانت وسيمة في «بليك»... العينان باللون البني الداكن نفسه ولكنهما ضاقتا وبدت فيهما نظرة خفية وهما تنفذان إلى أعماق نفسها. وكان شعره من اللون البني العنبري نفسه لكن كثافته المموّجة أطول من شعر «بليك». وقد أعطى انطباعًا بأنه أشعث بدلاً من أن يكون ممشطًا مرتبًا. هذا الرجل له قامة «بليك» نفسها لكن عضلاته أكثر صلابة. وليس معنى هذا أن «بليك» كان ضعيفًا... لا... لكن هذا الرجل بدا أكثر نموًا من غير أن يبدو أكثر وزنًا. لقد سجلت هذه الاختلافات بسرعة الكمبيوتر فقد كان ذهنها يعمل بجد بينما بقية كيانها ينهار من أوجه الشبه، واستمر الطنين في رأسها دون توقف وبدأت الحقائق تستقر في مكانها. كان «بليك» على قيد الحياة!

www.rewity.com

واقفًا عند عتبة الباب! وترنحت إلى الأمام لكن قدميها لم تتحركا، واشتدت قبضة «شت» عليها لتسندها ووجهت إليه نظرتها المذهولة. كانت الحقيقة هناك في هذا الوجه الذي يراقب باهتمام، وقالت:

– هذا صحيح. ولم يبدُ كلامها سؤالاً ولا قرارًا، وأومأ «شت» برأسه وقد بدا في عينيه تحذير صامت، وفي تلك اللحظة شعرت «دينا» بالوزن البارد لخاتم خطبته حول أصبعها، وامتدت يداها لتتشبث بذراعي «شت»، فقد شعرت على نحو مفاجئ ويائس بأنها تحتاج إلى أن تستند إليه حتى تظل واقفة.

– يبدو أن «شت» كان على حق! هكذا قال الصوت البطيء المألوف بنبرة جافة، ثم أضاف:

– عودتي أصابتك بصدمة أكبر مما توقعت. وحرك «بليك» زاوية رأسه قليلاً إلى جانبه حتى يوجه كلماته التالية دون أن يخلّص «دينا» من نظرته الثابتة:

– إنها تحتاج إلى قليل من القهوة الحلوة الساخنة مع شيء منعش.

– بالضبط. هكذا قال «شت» موافقًا ووضع ذراعه حول خصرها، ثم أضاف:

– دعينا نجد مكانًا نجلس فيه يا «دينا». وقبلت مساعدته في ضعف، وهي تلحظ نظرته إلى «بليك»، واستطرد «شت» قائلاً:

– رؤيتك وأنت واقف في مدخل الباب كانت أشبه برؤية شبح، قلت لك إننا جميعًا اعتقدنا أنك مت.

– إلا أنا. هكذا قالت الأم «شاندلر» معترضة وهي تتحرّك لتقف بجوار ابنها، وأضافت:

– كنت أشعر دائمًا بأنه لا يزال حيًّا هناك في مكان ما، على الرغم من كل ما قيل عنه. وبسرعة أدركت «دينا» الكذبة السافرة في كلام حماتها، وما إن كادت تكوّن الفكرة حتى لاحظت أن هناك آخرين في غرفة الجلوس وتعرّفت إلى وجوه لأصدقاء مقربين للأسرة، اجتمعوا للاحتفال بعودة «بليك». كانوا

يراقبون جمع الشمل بين الزوج والزوجة أو بالأصح قلة جمع الشمل بينهما! ففي تلك الثانية الفظيعة أدركت «دينا» أنها لم تلمس «بليك»، وكان المفروض أن تُلقي بنفسها بين ذراعيه، ومحاولتها المترنحة الوحيدة أوقفها «شت» مصادفة وهو يحاول أن يساعدها لتظل واقفة على قدميها، ولو حاولت هذا الآن لبدت مفتعلة مصطنعة... والذي أثار فزعها بالدرجة نفسها أنها اكتشفت أنه يتعين عليها أن تتظاهر وتفتعل، لأن الرجل الواقف أمامها كان «بليك شاندلر» بالتأكيد، لكنه ليس مثل الرجل الذي تزوجته. شعرت وكأنها تنظر إلى شخص غريب عنها تمامًا، وكان هو يعرف تفكيرها وشعورها، وفي وسعها أن ترى هذا في جمود نظرته الباردة المتباعدة. وبينما اقتربت مع «شت» من مدخل الباب تنحى «بليك» جانبًا ليفسح لهما الطريق، وابتسم إلى أمه ولم يكشف تعبير وجهه عن شيء للآخرين، وربما جعلهم هذا يعتقدون أنه اعتبر سلوكها غير طبيعي في هذه الظروف، وقال يعاتب أمه:

– إذا كنت متأكدة أنني حيّ يا أمي فلماذا ارتديت السواد؟ وتدفّق الدم في وجنتي «نورما شاندلر» فأجابت:

– من أجل والدك يا «بليك». كان كل عصب في جسم «دينا» متنبهًا لوجود «بليك» ولم تكن قادرة على أن ترفع نظرها إليه. كان الشعور بالذنب يحترق بداخلها ويزيل أي رد فعل تلقائي ربما أحست به. وظهرت المشرفة على المنزل ووضعت فنجانًا وطبقًا من الصيني على المائدة الزجاجية الموجودة أمام الأريكة، وقالت:

– هذه قهوتك، وقد صنعتها تمامًا كما أمر السيد «بليك». وتمتمت قائلة:

– أشكرك يا «ديدر». ومدّت يدها إلى الفنجان الصيني المليء بالسائل القاتم الساخن، لكن يديها كانتا ترتجفان مثل أوراق الصفصاف ولم تستطع أن تقبض عليه، ومن طرف عينيها لمحت بداية حركة من «بليك» وكأنه يوشك أن يميل إلى الأمام ليساعدها، لكن يد «شت» سبقته فرفعت الفنجان لتقربه من

شفتيها. كان مجرّد ردّ فعل آلي من ناحية «شت»، إذ اعتاد تأدية أشياء لها في العامين والنصف الماضيين تمامًا كما اعتادت «دينا» ذلك. واستطاع السائل الساخن القوي الذي احتسته «دينا»، أن يهدئ من التوتر الذي كان يخنق صوتها. ووجدت في نفسها قوة لترفع نظرتها المتردّدة إلى عيني «بليك»، وبدأت تقول وهي تحسّ بما تقوله:

– كيف... أعني... متى؟ وتوقّع سؤالها فأجاب عنه بقوله:

– لقد خرجت من الأدغال منذ أسبوعين. كان ذلك قبل أن توافق على الزواج بـ «شت» فسألته:

– منذ أسبوعين؟ لماذا لم تخبر أي شخص؟

– كان من الصعب عليّ أن أقنع السلطات بحقيقة شخصيتي، لأنهم أيضًا يعتقدون أنني مت. وسألته المشرفة على المنزل قائلة:

– هل تصرّ على عدم شرب أي شيء يا سيد «بليك»؟

– لا أريد شيئًا، أشكرك. وقطبت «دينا» جبينها... في الماضي كان «بليك» يشرب دائمًا كأسين إن لم يكن ثلاث كؤوس من الشراب قبل العشاء. لم تكن مخطئة إذن، فقد طرأ عليه فعلاً أكثر من مجرد تغييرات سطحية في خلال العامين والنصف الماضيين. ودون أن تشعر غطت يدها اليسرى بيدها اليمنى وهي لاتخفي فقط خاتمي الزفاف اللذين كان «بليك» قد قدمهما إليها، وإنما خاتم خطبة «شت» أيضًا، وقالت أمه مستمرّة في الشرح:

– في اللحظة التي صدقوا فيها قصة «بليك»، أخذ أول طائرة وعاد إلى بلده. وابتسمت له ابتسامة الأم التي أحبته وهامت به دائمًا، ولم تستطع «دينا» إلاّ أن تقول:

– كان يجب عليك أن تتصل بنا تليفونيًا. لو أنها علمت بالنبأ لاستطاعت أن تستعد على نحو أفضل لاستقبال «بليك شاندلر» الجديد، هكذا فكرت.

– لقد فعلت هذا. وفي الوقت نفسه الذي كان يتكلم فيه تذكرت «دينا» صوت

رنين التليفون في الفجر عندما غادرت المنزل، لو أنها بقيت لحظات لما فاتها أن تعرف نبأ عودته، ثوان فقط. قالت «نورماشاندلر»:

– كنت قد حولت الخط الخاص بي، وكانت «ديدر» تضع ضمادتي أذنيها حتى لا تقلقها الأصوات، هل سمعت رنين التليفون يا «دينا»؟ أجابت «دينا» قائلة:

– لا، لا، كنت قد غادرت المنزل. واستمر «شت» في رواية القصة فقال:

– وعندما لم يتلقّ «بليك» أي رد هنا، اتصل بي تليفونيًا. فقال «بليك»:

– لقد أصيب «شت» بذهولك نفسه يا «دينا». وابتسم... لكن «دينا» أدركت أنها الشخص الوحيد الذي لاحظ خلو صوته من الانشراح، كانت تعرف أن نظرتها ترتجف تحت نظراته النفاذة، وأكمل «شت» كلامه قائلاً:

– وحضرت بسرعة إلى هنا حتى أبلغك أنت والسيدة «شاندلر». ثم قال «سام ليفسك» متبرمًا:

– أين كنتِ يا «دينا»؟ كان الأب الروحي لـ «بليك»، كما كان صديقًا قديمًا جدًا لكل من والد «بليك» ووالدته، وعلى مرّ السنين اكتسب حق لوم وتأنيب «بليك»، وامتدّت قرابته إلى «دينا» بعد ذلك، وأضاف:

– لقد كاد «شت» يفقد عقله وهو يبحث عنك طوال النهار. قالت:

– كنت في المرسى. ثم التفتت إلى «بليك» واستطردت تقول:

– لقد أجّرت زورق «ستارفش» لزوجين، وهما يعتزمان الإبحار إلى «فلوريدا» لقضاء الشتاء، وقضيت اليوم في تنظيفه، ونقل كل حاجاتك منه. وقال «سام ليفسك» بعطف وهو يخبط مسند مقعده:

– مسكين أيها الرجل، كنت دائمًا تحب الإبحار على ذلك الزورق، والآن يُعطى الزورق لشخص آخر في اليوم نفسه الذي تعود فيه إلى البيت! وقال «بليك»:

– إنه مجرد زورق يا «سام». كانت في عينيه قتامة غامضة جعلت من

www.rewity.com

المستحيل رؤية أفكاره الحقيقية، أما بالنسبة إلى «دينا» فقد بدا لها أن كلامه يتضمن شيئًا آخر، لعله لم يكن يعترض على تأجير زورقه لشخص آخر مادام هذا الشخص ليس زوجته! وزاد فزعها. وقال الرجل الأكبر سنًّا وهو يخبط بيده مسند مقعده مرة أخرى:

– إنك على حق، إنه مجرد زورق، وهو لا يساوي شيئًا إذا قورن بعودتك سالمًا. إنها معجزة... معجزة فعلاً. وأثارت هذه العبارة سيلاً من الأسئلة التي وجهت إلى «بليك»، وكلها تدور حول سقوط الطائرة والأحداث التي أعقبت ذلك، واستمعت «دينا» إلى قصته، إنّ كل كلمة تخرج من فمه تجعله يبدو غريبًا عنها أكثر فأكثر. كانت الطائرة الخاصة الصغيرة قد أصيبت بعطل في محركها وسقطت في الغابة الكثيفة، وعندما أفاق «بليك» كان الأشخاص الأربعة الآخرون الذين على متنها قد لقوا حتفهم، وحبس بين الحطام بساق مكسورة وبعض الكسور في الضلوع، وفي جبهته قطع عميق يقطر دمًا إلى جانب جروح وكدمات أخرى، وعثرت نظرات «دينا» على أثر الجرح الذي أحدث ندبة في جبهته، ولم يدخل «بليك» في تفاصيل كثيرة عن الطريقة التي خرج بها من الطائرة في اليوم التالي، لكن «دينا» كان لها خيال قوي، وتصوّرت الألم الذي لابد من أنه تحمّله وهو يشق طريقه إلى الخارج بجروحه، ويجعل الحطام كفنًا لأشلاء جثث الآخرين، ولم تستطع «دينا» أن تتصوّر كيف أنقذ نفسه، ففي الماضي عندما كان يحدث شيء يتطلب مهارة أو خبرة فنية، كان «بليك» دائمًا يستأجر أحدًا، لذلك كانت عملية إصلاح عظامه المكسورة– بصرف النظر عن الظروف الفظيعة التي لا تناسب طبيعته على الإطلاق –عملية لا يمكن أن يقوم بها إطلاقًا الرجل الذي تعرفه، وعندما نفدت مؤونة أطعمة الطوارئ من الطائرة اضطر «بليك» إلى أن يحصل على طعامه، وكان غذاؤه يتكون من الفاكهة وأي حيوان مفترس يستطيع أن يصطاده. هل يُعقل أن يفعل هذا «بليك شاندلر» الذي كان يعتبر قتل

الحيوانات وصيدها رياضة مقززة، والذي كان يتغذى على أصناف رائعة من الأطعمة؟! «بليك» الذي كان يحتقر الذباب والبعوض حكى عن الحشرات التي تكدست في الغابة تطير وتزحف وتعض وتقرص حتى لم يعد يلحظها. إن حرارة الغابة ورطوبتها أتلفت حذاءه وملابسه، واضطرته إلى أن يصنع بعض الكساء من جلود الحيوانات التي قتلها. هل يُعقل أن يفعل هذا «بليك» المتحذلق في ثيابه، والذي يحرص دائمًا على أن يكون في أبهى صورة؟ وبينما بدأ يروي قصة العامين اللذين استغرقهما خروجه من الغابة، اكتشفت «دينا» جوهر الاختلاف الذي طرأ عليه. اكتشفت أن «بليك» ترك «رود أيلاند» رجلاً متحضرًا وعاد إليها رجلا بدائيًا إلى حد ما، وحملقت إليه بعينين متفحصتين. كان وهو يستند بكرسيه إلى الوراء يبدو مسترخيًا كسولاً، ومع ذلك أدركت «دينا» أن عضلاته أشبه بأسلاك ملفوفة، وأنها مستعدة دائمًا لأن تقفز بسرعة الحيوان الذي يقتنص فريسته... كانت حواسه وأعصابه متنبهتين لكل شيء يحدث حوله، فمن الأعماق المتحفزة لهاتين العينين البنيتين الصلبتين، بدا «بليك» أنه ينظر إليهم جميعًا بسرور ساخر، وكأنه وجد أن ما يسمّى بأخطار عالمهم المتحضر ومشاكله أمر يثير الضحك عندما يقارن بمعركة البقاء التي خاضها وانتصر فيها، وعندما انتهى «بليك» من رواية قصته باختصار قال «سام ليفسك» معلقًا:

– يوجد شيء لا أفهمه، لماذا أخبرتنا السلطات بأنك مت بعد أن عثرت على الحطام؟ لابد من أنهم اكتشفوا بالتأكيد أن هناك جثة ناقصة

– لا أتصور أنهم اكتشفوا ذلك. قال «بليك» هذا بنبرة واقعية هادئة، وسألته أمه:

– هل دفنت جثثهم يا «بليك»؟ وهل هذا هو سبب عدم عثورهم على الجثث؟

– لا لم أدفنها يا أمي. كانت السعادة الساخرة التي شكت «دينا» في أنه

يشعر بها موجودة، تومض من خلال الأهداب البنية للنظرة الحانية التي وجهها إلى أمه، وأضاف:

– كان الأمر يحتاج إلى بولدوزر لحفر مقبرة في تلك الأدغال المليئة بالأشجار والجذور والنباتات، لم يكن أمامي وسيلة أخرى إلاّ أن أتركهم في الطائرة، ومن سوء الحظ أن الغابة مليئة بحيوانات من آكلة اللحوم العفنة. وشحب وجه «دينا». كان صوته باردًا دون إحساس، وكان «بليك» من قبل رجلاً مفعمًا بالعاطفة والحيوية سريع الغضب وسريع الصفح. ما الذي حدث له؟ وإلى أي حد ستؤثر الوحشية التي طرأت على حياته في خلال العامين والنصف الماضيين في مستقبله؟ هل ستتحول قوة عزيمته إلى قسوة وتهور؟ هل ستصبح زعامته التلقائية استبدادًا؟ هل سيتحول عطفه على الآخرين إلى احتقار؟ هل سيصبح حبه شهوة؟ ترى هل هو رجل حقيقي أم حيوان ذكر؟ لقد كان زوجها، وارتجفت «دينا» عندما تذكرت الأجوبة التي يمكن أن تكون لتلك الأسئلة. وسمعت صوت المشرفة على المنزل تدخل الغرفة لتسأل:

– في أي وقت تحبين تقديم العشاء هذا المساء يا سيدة «شاندلر»؟ وتردّدت «نورما شاندلر» قبل أن تقول:

– بعد ساعة يا «ديدر»، أعتقد أن هذا سيكون وقتًا مناسبًا للجميع، أليس كذلك؟ وتلقّت همهمة تدل على الموافقة، ومن مكانه بجوارها على الأريكة أضاف «شت» إلى موافقته هذه الملاحظة:

– إن هذا يعطيك وقتًا كافيًا كي تنتعشي قبل العشاء، أليس كذلك يا «دينا»؟ وتشبثت بطوق النجاة الذي ألقى به إليها دون قصد وقالت:

– بلى، سيعطيني وقتًا كافيًا. كانت تتمنّى من كل قلبها أن تكون وحدها دقائق قليلة، لتجمع أفكارها المشوشة، وتخشى بشدة أن يكون ردّ فعلها مبالغًا فيه، وعندما نهضت واقفة وجّهت كلماتها إلى الجميع قائلة:

– عن إذنكم، لن أغيب طويلا. وأحست «دينا» بقلق؛ لأن عيني «بليك»

تتابعانها وهي تسير وتخرج من الغرفة، ولكنه لم يحاول إيقافها. كما أنه لم يقترح أن يأتي معها ليكونا وحدهما دقائق قليلة، وأراحها ذلك.

- 3 -

أزال الدُّش السريع ما بقي من آثار ذهولها، وسارت «دينا» من الحمام الخاص بها إلى غرفة نومها، واتجهت نحو خزانة الملابس في ركن الغرفة لتختار ما تلبسه للعشاء، وهي تحاول أن تؤكد لنفسها أنها تبالغ فيما يتعلق بـ «بليك». وسمعت الباب ينفتح ورأته يدخل... وفتحت فمها لتأمر المتطفل بالخروج ثم أغلقته، كان زوجها فكيف يمكن أن تأمره بالخروج من غرفة نومها؟ واجتاحت نظرته الغرفة ثم استقرت عليها، وحملق إليها كما يحملق حيوان إلى فريسته، وأمسكت بثنايا ثوبها حول عنقها، وتصببت راحتاها بالعرق، ودقّ الدم في رأسها مثل ألف طبلة في الغابة تنذر بالخطر... كانت الحلّة الجديدة التي يرتديها تضفي عليه مظهرًا مهذبًا، لكن طبقة الرقة الرقيقة لم تخدعها، إذ لم تُخفِ القوة الخفية لذلك الجسم العضلي، ولم تشذّب الحواف الخشنة لملامحه التي تصلّبت من الشمس، وأغلق «بليك» الباب، ولم يحوّل نظرته الثاقبة عنها، وأمام الخوف الفظيع حبست أنفاسها.

– لقد قاسيت الأمرّين حتى أعود إليك يا «دينا»، ومع ذلك لم تفكري في عبور الغرفة لتقابليني. وجّه «بليك» ذلك الاتهام بنبرة خافتة ناعمة مفعمة بسعادة ساخرة، ودفعتها كلماته إلى الحركة. مضى وقت طويل جدًّا منذ عودته دون أن تلقي بنفسها بين ذراعيه، كانت خطواتها جامدة وظهرها متصلبًا وهي تقترب منه... وكان واضحًا أنها تحذّره، لقد شكت في قدرتها على هدم جدار التحفظ الذي شيدته، وعندما وقفت أمامه بحثت في ذهنها عن كلمات ترحيب يمكن أن تقولها بإخلاص، وكانت الكلمات الوحيدة التي استطاعت

أن تنطقها برنة صدق هي:

- إني سعيدة لأنك عدت سالمًا. وانتظر «بليك» أن تقبله... وتقلصت العضلات في معدتها بحدّة عندما خطرت لها الفكرة. وبعد ثانية من التردد أرغمت نفسها على أن تقف على أطراف أصابعها لتقترب منه. ووضع يديه الكبيرتين حول خصرها، ولم تشعر بألفة لمسته الخفيفة. بالعكس بدت لها غريبة. وعندما حاولت أن تنهي عناقها تحولت يداه إلى كماشة. وأخذت أصابعه تعبث في شعرها الذهبي حتى يقربها منه أكثر. وقفز قلبها في جنون ثم أسرعت دقاته في خوف. إنه يطلب أكثر مما تستطيع «دينا» أن تعطيه لرجل بدا غريبًا لها أكثر مما هو زوجها. وحاولت جاهدة أن تخلص نفسها من قبضته الحديدية. كانت أنفاسها سريعة عندما تجنبت عينيه، وقالت:

- يجب أن أرتدي ثيابي. فالضيوف ينتظرون في الطابق السفلي. قالت هذا وهي تتظاهر بأن هذا هو سبب رفضها عناقه. هاتان العينان البنيتان اللتان بلا قاع تنفذان إلى داخلها، واستطاعت «دينا» أن تشعر بهما حتى وهي تستدير وتتجه إلى خزانة ملابسها، وشعرت بركبتيها تتهاويان. وقال «بليك» يصحح كلامها بنعومة قائلاً:

- تقصدين أن «شت» ينتظر! وتجمّد دمها وقالت:

- بالطبع. أليس «شت» موجودًا مع الضيوف؟ قالت هذا وهي تتظاهر بأنها تجهل ما يعنيه، وفي الحال ندمت على أنها لم تنتهز الفرصة التي أتاحها لها لتخبره بخطبتها إلى «شت»، وقال لها:

- لقد اضطررت إلى أن أعيش حياة الأعزب مدة طويلة يا «دينا»، وأنت ماذا فعلتِ؟ وشعرت بدوار من الاحتقار الجاف في سؤاله. وبرقت في عينيها نيران زرقاء من الغضب، لكن «بليك» لم يعطها فرصة لتدافع عن شرفها وسألها:

- متى تدخّل «شت» بعد اختفائي؟ وردت قائلة:

- إنه لم يتدخل. وبسرعة الصقر المنقض قبض على يدها اليسرى، وكادت

قبضته الشرسة تسحق العظام النحيلة لأصابعها، وأفلتت منها شهقة ألم. كان فمه عبارة عن خط رفيع قاسٍ وهو يرفع يدها ويقول:

- ألا تسمينه تدخلاً عندما يضيف شخص آخر خاتمًا إلى الخواتم التي وضعتها حول أصبعك؟ هل ظننت أنني لن أراه؟ وأنني لم ألحظ نظراتكما التي كنتما تتبادلانها، والطريقة التي كان الآخرون يراقبوننا بها نحن الثلاثة؟ وترك يدها بحركة عنيفة من الاشمئزاز. وتحسست «دينا» أصابعها بيدها اليمنى. وأضاف «بليك»:

- ولم يحاول أي منكما أن يخبرني! وردّت بغضب وقد فقدت أعصابها نتيجة لثورته:

- لم يجد أي منا فرصة ليخبرك. إنه ليس تصريحًا يريد المرء أن يعلنه أمام الآخرين. ماذا كنت تنتظر مني أن أقول عندما رأيت زوجًا اعتقدت أنه مات؟ هل كان المفروض أن أقول إنني سعيدة جدًا يا حبيبي لأنك لا تزال حيًا... أوه... بالمناسبة لقد خطبني شخص آخر! إنني أراعي شعور غيري وأرجو أن تعترف بذلك. ورمقها بنظرة جامدة طويلة، وسيطر على غضبه بشدة حتى أثار فزعها، شعرت بأنها تنظر إلى بركان مغطى وهي تعرف أنه يغلي في الداخل، وتساءلت ترى متى ينفجر الغطاء؟ وقال «بليك» باحتقار:

- يا له من ترحيب بالعودة، زوجة تتمنّى لو كنت ميتًا في القبر! ونفت ذلك قائلة:

- إنني لا أتمنى هذا. قال بسخرية مريرة:

- هذه الخطبة... وقاطعته «دينا» محتجة:

- الطريقة التي تتكلّم بها تجعلها تبدو تصرفًا أنانيًا، وهذا غير صحيح، لقد خطبني «شت» منذ أسبوع فقط، وفي الوقت الذي عرض عليّ الزواج كنت أعتقد أنك ميت، وكنت حرة في قبول عرضه.

- والآن يختلف الأمر، إنني حي، وأنت زوجتي ولست أرملتي. قال ذلك

بنبرات باردة مقتضبة بدت لها أنها حكم بالأشغال الشاقة مدى الحياة! كانت «دينا» ترتجف ولا تعرف سببًا لذلك، وقالت بصوت متوتر مشدود حتى تخفي الرجفة:

– أعرف ذلك يا «بليك»، لكن ليس هذا وقت مناقشة الوضع. إن أمك تنتظر العشاء وعليّ أن أرتدي ثيابي. وتصورت لثوانٍ أنه سيستمر في الجدال، ولكنه قال ببطء:

– نعم، ليس هذا وقته. وسمعت الباب يفتح على مصراعيه ثم يصفق بشدة، إذا كانت هذه بداية جديدة لزواجهما فإنها تُعتبر بداية فظيعة. وتصادف وصولها إلى الطابق السفلي مع وصول «ديدر» وهي تعلن أن العشاء سيقدم، وصحبها «بليك» إلى غرفة الطعام. لقد استُقبل «بليك» بترحيب من كل شخص إلاّ «دينا». وكانت هي تدرك هذه الحقيقة بألم. وعندما جلس الجميع حول المائدة كان التوتر في الجو يكاد يجعله مكهربًا، ومع ذلك لم يلاحظ هذا إلاّ «دينا». جلس «بليك» على رأس المائدة، وجلست أمه في الناحية المقابلة وجلس «شت» إلى يمينها بينما جلست «دينا» إلى يسار «بليك»، وقد حرص «بليك» على أن تظل «دينا» إلى جانبه منذ عودته، وكأنه يريد أن يثبت لكل واحد أنها زوجته وأنه يفصلها عن «شت»، كان يبتسم دائمًا في الظاهر وفي بعض الأحيان يرمقها بنظرات مفعمة بسحره المدمر القديم، لكن الغضب لايزال يعتمل في عينيه البنيتين كلّما وجّه إليها نظرته. وبعد أن جلس الجميع دخلت المشرفة على المنزل تحمل وعاء كبيرًا من الحساء وقالت لـ «بليك»:

– هذا هو حساؤك المفضل يا سيد «بليك». وابتسم ابتسامة عريضة وقال:

– بارك الله فيك يا «ديدر»، هكذا يكون الترحيب بعودة الغائب! وفهمت «دينا» ما يعنيه من عبارته ذات المعنى المزدوج، وشحب وجهها ولكنها ظلت محتفظة برباطة جأشها. كانت الوجبة شهية وأبدى «بليك» الإطراء والتعليق

المناسبين، لكن «دينا» لاحظت أنه لا يتذوق طعم الأطباق المختلفة كما كان يفعل في الماضي. وقُدمت القهوة في غرفة الجلوس حتى تستطيع «ديدر» تنظيف المائدة، وجلست «دينا» إلى جانب «بليك» ثانية بينما جلس «شت» في أقصى ركن في الغرفة، وعندما نظرت إليه رفع وجهه والتقت عيناه بعينيها. همس بكلمة اعتذار سريعة للسيدة «بيرنسايد» صديقة «نورما شاندلر» التي كان يتحدث إليها، ثم اتجه نحوها ومن خلال أهدابها رمقت «دينا» «بليك» بنظرة، فرأت عينيه تضيقان وهو يرى «شت» يقترب، وبدت ابتسامة «شت» متوترة عندما وقف أمامهما، وخمنت «دينا» أنه يحاول أن يجد وسيلة يخبر بها «بليك» بنبأ خطبتهما، وتمنت لو استطاعت أن تخبره بأن «بليك» يعرف النبأ، وبدأ «شت» قائلاً:

– إن اليوم أشبه بالأوقات القديمة يا «بليك»، عندما كنت أحضر إلى منزلك وأتناول العشاء معك ومع... وانتقلت نظرته إلى «دينا» بعصبية، وقاطعه «بليك» بهدوء قائلاً:

– لقد أخبرتني «دينا» بخطبتكما يا «شت». وخيّم السكون على الغرفة حتى أيقنت «دينا» أنها تستطيع أن تسمع صوت ريشة إذا سقطت على السجادة! وتركزت كل العيون في الثلاثة، وحبس الجميع أنفاسهم، ولم تعرف «دينا» ما الذي يحدث بعد نوبة الغضب الشرسة التي اعترت «بليك» في الطابق، وقال «شت» متلعثمًا:

– يسرني أنك تعرف أنني... وقال «بليك» مقاطعًا:

– أريد أن تعرف أنني لا أضمر لك أية كراهية، لقد كنت دائما صديقًا طيبًا وأرجو أن يستمر هذا الوضع. وبدأت «دينا» تتنهد بارتياح، ولم يهتم أحد غيرها بالتعليق الساخر الأخير،وانشغل «شت» بمصافحة اليد التي مدها «بليك» دليلاً على الصداقة، بينما أخذ الآخرون يتمتمون فيما بينهم حول اللحظة التي انتظروها طوال اليوم.

– إن الخطبة مفسوخة بالطبع! هكذا قال «بليك» بابتسامة تناقض ملامح الجد البادية في عينيه. ورد «شت» وهو يبتسم:

– بالطبع. وشعرت «دينا» بالغضب، لأنها نحيت جانبًا دون أي اعتراض ولم يؤخذ رأيها في هذا الموضوع. وسرعان ما لامت نفسها. كان «بليك» حيًّا وهي زوجته، ولم تكن ترغب في أن تطلّقه لتتزوج «شت»، فلماذا تنزعج إذن؟ وبعد المواجهة بشأن الخطبة بدأ الضيوف ينصرفون، وعندما ودعت «دينا» السيدة «بيرنساید» قال «بليك»:

– إنها آخرهم! وتلفتت «دينا» حولها وقالت:

– أين أمك؟

– في غرفة المائدة تساعد «ديدر». فقالت وهي تستدير:

– سوف أذهب لمساعدتهما. لكن «بليك» قبض على ذراعها ثم تركها بسرعة وقال:

– لا داعي لذلك، يستطيعان تنظيف المائدة وحدهما. ولم تعترض «دينا». كان اليوم طويلا وكانت تشعر بالإرهاق الذهني والجسدي، وهي تحتاج إلى ليلة طويلة من النوم العميق، وسارت نحو الدرج وهي تشعر بأن «بليك» يتبعها. وذكرها قائلا:

– إنك لم تعطي «شت» خاتمه! ورفعت يدها اليسرى وألقت نظرة إلى الخاتم الألماس، ثم قالت:

– لابد من أنني نسيت. وعندما بدأت تخفض يدها قبض عليها «بليك» ونزع الخاتم من أصبعها قبل أن تستطيع منعه، ووضعه دون اهتمام على الطاولة الموضوعة بجانب حائط البهو.

– لا يمكن وضع أشياء قيّمة هنا! وأخذت الخاتم بسرعة وقطّبت جبينها ونظرت إلى «بليك» الذي سألها بغطرسة باردة:

– قيّمة لمن؟ وأطبقت أصابعها على الخاتم، وقالت:

– سأحتفظ به في غرفتي حتى أعيده إليه. وانتظرت أن يتحدّى قرارها، وعندما لم يفعل صعدت الدرج، وقال «بليك» وهو يتبعها:

– سيأتي غدًا... تستطيعين أن تعيديه إليه.

– متى يحضر؟

– الساعة العاشرة. وعندما انتهت من صعود الدرج استدارت «دينا»، وقد كانت غرفة نومها أول باب على اليمين، وسارت نحوها وفوجئت بذراع «بليك» تفتح الباب، وتوقفت فورًا عندما فتحه وبدت عليها الحيرة وهي تسأله:

– ماذا تفعل؟

– أذهب إلى فراشي! قال هذا وهو يرفع حاجبيه وينظر إليها ببرود، وأضاف:

– أين تصورت أنني سأنام؟ وأشاحت بوجهها بعيدًا، وشعرت بحالة من التشوش والاضطراب من هذا السؤال، وقالت متلعثمة:

– لم أفكر في هذا الأمر... ربما اعتدت النوم وحدي. وضع يده على ظهرها ودفعها داخل الغرفة وقال:

– من المؤكد أنك لا تتوقعين أن يستمر هذا الوضع. ربما يكون من الأفضل... لفترة... ووقفت وسط الغرفة واستدارت لتواجهه وهو يغلق الباب، ثم قالت:

– صحيح!

– نعم أعتقد أن هذا أفضل. وخفق قلبها بشدة وهي ترى «بليك» يخلع ربطة عنقه وقميصه، وحاولت أن تناقشه بتعقل، فقالت:

– «بليك»، لقد مضى عامان ونصف العام، إنني لم أعد أعرفك، أصبحت غريبًا بالنسبة إليّ.

– يمكن أن يتغير هذا. وحاولت «دينا» أن تسيطر على أعصابها وقالت:

www.rewity.com

– إنك لا تحاول أن تفهم يا «بليك». لا أستطيع أن أقفز إلى الفراش مع...

وأكمل الجملة بقوله:

– زوجك! من غيره تختارين؟ وعندما خلع قميصه ظهر صدره العاري وكان بنفس لون وجهه القاتم، وزاد انطباع «دينا» بأنها مع رجل بدائي قوي خطير وابتعدت عنه متجهة إلى خزانتها لتضع خاتم «شت» في علبة مجوهراتها، وقالت:

– لا أختار أحدًا... لم أقصد ذلك. وتقدم وراءها ورأت صورته في المرآة، وقالت:

– أصبحت شخصًا جامدًا يا «بليك»، وساخرًا، أستطيع أن أتصور ما ذقته من عذاب.

– هل تستطيعين؟ هل تستطيعين أن تتصوري كيف تعذبت وأنا أتشبث بصورة امرأة بعينين زرقاوين وشعر ذهبي حريري؟ ومدّ يده وقبض على خصلة من شعرها، وأغمضت «دينا» عينيها من النبرة الشرسة في صوته، وأضاف:

– انتظرت 922 ليلة، وعندما رأيتها أخيرًا وجدتها تتعلق بذراع أفضل صديق لي، هل يدهشك إذن أن أكون جامدًا وأن أمتلئ بالمرارة؟ هل افتقدتني يا «دينا»؟ هل حزنتِ عليّ؟ وأدارها لتواجهه، وقالت:

– عندما اختفيت يا «بليك» كدت أموت فزعًا، لكن أمك كانت حزينة أكثر. فقدت زوجها ثم تصورت أنها فقدتك، وكان يتعين عليّ أن أقضي معظم وقتي أسرّي عنها، وبدأت الشركة تنهار، وأصر «شت» على أن أتولى إدارتها، وهكذا غرقت في عالم آخر، في أثناء اليوم كنت مشغولة جدًا لا أفكر في نفسي، وفي الليل كانت أمك تعتمد عليّ لتستمد مني القوة، وبدأت أتناول حبوبًا منومة حتى أرتاح وأستطيع العمل في اليوم التالي. الواقع يا «بليك» أنه لم يكن لدي وقت للحزن! ولم يتأثر بكلماتها، وظلت عيناه الداكنتان باردتين جامدتين، وقال بهدوء بارد:

– لكن كان لديكِ وقت لـ «شت»! وارتجفت «دينا» عندما وجد السهم الذي أطلقه هدفه، وقالت:

– كان أفضل صديق لك، ومن الطبيعي أن يظل على اتصال بي وبوالدتك، كنت أجده دائمًا بجانبي يؤيدني ويساعدني ويشجعني، ويعطيني كتفًا أستند إليها في اللحظات العصيبة دون أن يطلب أي مقابل، ومن هنا بدأت العلاقة تنمو بعد أن بلغنا النبأ أنك قُتلت، كنت أحتاج إليه...

– وأنا أحتاج إليكِ الآن. وضمها إليه بقوة، وحاولت أن تتخلص من ذراعيه، وقالت بغضب:

– لم تستمع إلى كلمة مما قلته، لقد تغيرت أنت، وأنا أيضًا تغيرت... ونحتاج إلى وقت لنتلاءم.

– نتلاءم؟ كيف؟ إن كلاً منا حيوان من الفصيلة نفسها... وجدنا على الأرض لننام ونأمل وننجب ونعيش ونموت، لقد تعلّمت في الغابة أن هذا هو جوهر الوجود. نطق هذه الكلمات بنبرة باردة جامدة خالية من الشعور، وقهقهت «دينا» بعصبية وقالت:

– يا إلهي... تتكلم كأنك «طرزان» وأنا «جين»!

– هذه هي الحقيقة إذا حذفتِ آداب المجتمع والكلمات الجميلة. واعترضت قائلة:

– كلا... إن عقولنا أكثر تطورًا، فنحن لنا أحاسيس ومشاعر... نحن...

– اخرسي! وكتم كلماتها بعناق عنيف، وعبثًا حاولت «دينا» أن تتخلص من قبضته، ولكنها ظلت تصر بقبضتي يديها حتى ابتعد عنها، ونظرت إليه بدهشة، وفكرت في أن هذا الرجل الغريب هو زوجها! واستجمعت كل شجاعتها لتقول له:

– لا تفعل هذا يا «بليك».

– هل تحاولين الظهور في صورة الزوجة الشهيدة التي تستسلم لوحشية

www.rewity.com

زوجها؟ إن هذا التظاهر بالبرود مهزلة. وأذكر جيدًا أنك كنت تحبينني بجنون! وشحب وجه «دينا» عندما تذكرت هي أيضًا. ولكنها عندما لمحت اليدين الخشنتين بدلا من اليدين الحانيتين اللتين كانتا تحيطان بها في الماضي، عادت تتوسل قائلة:

– لا تحطم زواجنا. أريد أن أحبك ثانية يا «بليك».

– لعنة الله عليكِ... لماذا لم تقولي ذلك عندما عدت. لماذا انتظرتِ حتى الآن؟

– وهل كنت ستهتم بذلك؟

– ربما كنت أهتم. أما الآن فلا يهمني شيء سوى أنك لي. ومرة أخرى ضمها بقوة وبعنف مخرسًا كل كلماتها!

- 4 -

كانت «دينا» ترقد في الفراش وقد شدت الأغطية حتى عنقها. ولكنها كانت تعرف أن البطانيات لاتستطيع تدفئة البرد. شعرت بأنها باردة خاوية في داخلها وهي تحملق إلى أعلى في ظلام الغرفة، وتجمدت دمعة فوق أهدابها. كان «بليك» قد أشبع رغبتها. ولكنها لم تحس بأنها سمت إلى السعادة القصوى التي لا يبعثها إلا الانسجام الروحي. ولا يمكن أن يحدث هذا إلا عندما يوجد الحب. وفي هذه الليلة كان عناق «بليك» النهم يعبر عن الرغبة فقط. ولذلك لم تشعر «دينا» بالدفء الذي طالما شعرت به من قبل مع «بليك». «بليك» يرقد بجانبها دون أن يتلامسا. وقد وضع إحدى ذراعيه على الوسادة فوق رأسه. كانت تستطيع أن تسمع صوت أنفاسه المنتظم. ولكنها شكت في أنه نائم. وبنظرة جانبية رأت وجهه في الضوء الخافت. ولاح خط متجهم على وجهه وكأنه هو أيضًا يشعر برد الفعل نفسه! وقال بصوت

خافت جامد يشعر بنظرتها ويسمع سؤالها:

– هناك شيء واحد لم تقوليه يا «دينا». ولو أنك قلته لكان من المحتمل أن يمنع خيبة الأمل.

– ما هو؟ هكذا سألته بصوت مشدود مختلج وهي تتمنى أن تعرف الشيء الذي يمكن أن يمنع هذا من أن يحدث ثانية.

– إن استجابتك لا تعادل عامين ونصف من الأماني والتوقعات.

– «لا»... هكذا وافقت في صمت. فلم تكن هناك كلمات حب متبادلة، ولا انسجام بين قلبيهما وروحيهما. كانت لمسته تعبر عن رغبة فقط أثارها الغضب والإحباط. وتمتمت قائلة:

– إن الرغبة البحتة لا يمكن أبدًا أن تجلب السعادة يا «بليك»! وأزاح جانبًا من البطانية عن جسمه ونهض واقفًا على الأرض. والتفتت برأسها فوق الوسادة لتحملق إليه في الظلام وسألته بهدوء:

– إلى أين تذهب؟ وأحست بصوت يقول لها لو أن «بليك» ضمها بحنان بين ذراعيه، فإن الفراغ المؤلم بداخلها قد يهدأ. كانت هناك ومضة جمال في بشرته التي لفحتها الشمس في الضوء الباهت، واستطاعت أن تلمح كتفيه العريضتين والعضلات السوداء التي يقل عرضها بالتدريج إلى خصره. كانت خطاه دون صوت مثل خطوات الحيوان الصامتة!

– يوجد اكتشاف مزعج آخر فوجئت به منذ عودتي إلى الحضارة، وهو أن الفراش ناعم أكثر مما يجب! كان يتكلم بصوت خافت ونبرة مؤلمة ساخرة، وأضاف:

– لقد اعتدت الفراش الصلب، وهذا ما ينتج من قضاء ليالٍ كثيرة جدًا في الأشجار وعلى أرض صلبة. ولم تستطع أن تراه في الظلام، وتقلبت في فراشها واستندت إلى أحد مرفقيها وهي لا تزال تحتفظ بالأغطية محكمة حول جسمها، ومرّة أخرى سألته:

www.rewity.com

– إلى أين تذهب؟

– إلى حيث أجد بطانية وأرضًا صلبة! وسمعت صوت الباب وهو يفتحه وأضاف بنبرة حادة مؤلمة:

– لقد حققت رغبتكِ يا «دينا»، الفراش أصبح لكِ وتستطيعين أن تنامي وحدكِ! وعندما أغلق الباب سرت رجفة متقلصة في جسمها، ودفنت رأسها في الوسادة وتحول جسمها إلى كرة مشدودة من الألم، وأغمضت عينيها وهي تتمنى أن تنام وتنسى كل شيء! وهزت يد كتفها برقة لكن بإصرار، وسمعت صوتًا يقول:

– سيدة «بليك»... استيقظي... أرجوكِ... وتحركت «دينا» وعيناها تطرفان وهي تحاول أن تعرف إذا كانت تتخيل صوتًا يناديها أم لا... ومرّة أخرى ترامى الصوت إلى أذنيها يقول:

– انهضي يا سيدة «بليك»! ولكنها لم تتخيل اليد فوق ذراعها، وشعرت برأسها ينبض ببلادة وهي تفتح عينيها وتتقلب على الجانب الآخر وتشد الأغطية معها، وتركزت نظرتها الناعسة في الوجه المضطرب لشرفة المنزل وهي تنحني فوقها، وأصبحت «دينا» متنبهة لعدة أشياء في الوقت نفسه، أدركت الوسادة الملقاة بجانبها حيث رقد «بليك» فترة قصيرة، وقميص النوم القصير الذي كانت ترتديه، والملابس المتناثرة في أنحاء الغرفة... ملابسها وملابسه وفكرت قائلة: «يا إلهي... إن الغرفة تغرق في الفوضى» وقالت لـ«ديدر»:

– ماذا حدث يا «ديدر»؟ هكذا سألتها وهي تحاول أن تحتفظ برباطة جأشها رغم إحساسها بالحرج. قالت «ديدر»:

– إنه السيد «بليك»! وأثارت النظرة القلقة البادية في عيني المشرفة على المنزل رد فعل سريع من جانب «دينا»، فهبت جالسة واستندت إلى مرفقيها وقد طرد الاضطراب ما بقي في عينيها من نعاس، وقالت بفزع:

– «بليك»؟ ماذا حدث؟ هل أصابه سوء؟

– لا... لا... إنه فقط نائم في الطابق السفلي على الأرض في غرفة المكتبة. واحمر وجه المرأة خجلا وهي تضيف قائلة:

– وهو لا يرتدي البيجاما، يرتدي فقط ملابسه الداخلية! وأخفت «دينا» ابتسامة، وضاع ارتياحها في شعور بالمرح. مسكينة «ديدر شنايدر»، هكذا فكرت في أنها لم تتزوج في حياتها ولم تقترب من حياة زوجية، ومن المحتمل أنها أصيبت بصدمة عنيفة عندما وجدت «بليك» نائمًا في غرفة المكتبة بملابسه الداخلية! وأومأت «دينا» برأسها وقالت وهي تحاول أن تحتفظ بتعبير وجهها الجاد:

– فهمت...

– إن السيد «ستانتون» سوف يصل بعد ساعة، واعتقدت أنك وحدك التي تستطيعين أن توقظي السيد «بليك»! كانت المرأة تحاول جاهدة أن تتفادى النظر إلى ذراعي «دينا» العاريتين.

– سأفعل... قالت «دينا» هذا وبدأت تنهض، ثم خشيت أن تزيد من حرج المشرفة على المنزل إذا بدت أمامها بقميص النوم القصير، فقالت لها:

– أرجو أن تناوليني الروب الموجود على السرير هناك يا «ديدر». وبعد أن ناولتها الروب استدارت المشرفة على المنزل بلياقة بينما اندست «دينا» بداخله، وقالت المشرفة لـ «دينا»:

– لقد أرسلت السيدة «شاندلر» أشياء قليلة للسيد «بليك» أمس، منها بيجامة وروب، وقد وضعتها في الخزانة الخالية.

– سوف آخذها له، وغدًا يا «ديدر» أعتقد أنه من الأفضل أن تضعي ترتيبات مع السيدة «شاندلر» لشراء سرير بفراش صلب جدًا... جامد مثل الصخر.

– سأفعل يا سيدة «بليك». قالت «ديدر» ذلك بنبرة وعد وكأنها تؤدي قسمًا ثم أضافت:

– آسفة لأنني أيقظتك يا سيدة «بليك». وردت «دينا» وهي تبتسم:

– لا عليك يا «ديدر». وبإيماءة قصيرة من رأسها غادرت المشرفة على المنزل الغرفة. واتجهت «دينا» إلى الخزانة الصغيرة التي كانت «ديدر» قد أشارت إليها. كان هناك ثلاثة قمصان وحلّة بنية معلقة. وفي مشجب الباب الداخلي كانت البيجاما والروب من لونين متناسبين من الحرير. تركت «دينا» البيجاما وأخذت الروب. وعندما وصلت إلى الطابق الأرضي ترددت يدها فوق مقبض باب غرفة المكتبة. وشعرت بالتوتر وتقلصت معدتها بشدة. وحاولت جاهدة أن تحافظ على هدوئها وتتجاهل النوبة العصبية التي انتابتها. فتحت الباب بهدوء ودخلت. وتوجهت نظرتها أولا إلى الأرض والمكان الشاسع حول المدفأة. وسمعت صوت «بليك» يقول ساخرًا من جانب الغرفة:

– لابد من أن «ديدر» أرسلت الاحتياطي! والتفتت «دينا» ناحيته ورأته واقفًا. كان يحيط خصره ببطانية خضراء داكنة. وصدره العاري يلمع بسمرته الداكنة. وقد مشط بأصابعه شعره البني الكثيف حتى أصبح شبه منسق. وهي فكرة اكتسبها من حياة العزلة في الغابات. ودق نبض «دينا» فزعًا ورفعت رأسها وكأنها تتوقع خطرًا. وهو يبدو مثل رجل بدائي متكبر نبيل وشرس.

– هل سمعتها وهي تدخل؟ وأدركت أنه سؤال سخيف بعد أن وجهته. إن تلك الشهور الطويلة التي قضاها في الغابة شحذت حواسه وجعلتها أكثر حدة ودقة. ورد باحتقار ساخر:

– نعم. ولكنني رأيت أنه من الحكمة أن أتظاهر بالنوم بدلا من أن أصيبها بصدمة! لقد توقعت أن تصعد الدرج قفزًا وتخبرك أنت وأمي بسلوكي الفظيع. ووراء نظرته المقنعة ونظرته القاتمة تفحص وجهها. شعرت بعدم الارتياح. وتمنت لو أنها ارتدت ملابسها كاملة قبل أن تنزل.

– لقد أتيتك بروب. ومدت يدها بالروب وهي تشعر برجفة بسيطة لم تبد

واضحة بعد.

– لابد من أن «ديدر» اقترحت هذا. لقد صدمت أكثر مما توقعت. لكن «بليك» لم يحاول أن يتقدم نحوها. فاضطرت «دينا» إلى أن تسير نحوه.

– إن «ديدر» لم تتعود رؤية رجال بملابس داخلية نائمين على أرض غرفة المكتبة. قالت هذا مدافعة عن رد فعل المشرفة على المنزل. وقد اكتشفت رد فعل مماثلا عندما بدأ «بليك» يزيح البطانية من حول خصره. وأشاحت بعينيها بعيدًا واحمرّ وجهها خجلا. وكأنه شخص غريب يخلع ملابسه أمامها وليس زوجها! وسمعت صوت حفيف الروب الحريري، ثم قال «بليك» بلهجة ساخرة قاسية:

– تستطيعين أن تنظري إليّ الآن! ورمقته بنظرة غامضة، لأنه لاحظ نوبة الخجل التي انتابتها. ثم ابتعدت. كان عرق رقبتها ينبض بعصبية شديدة. لم تستطع السيطرة عليها. ولمست يده كتفها وتراجعت من لمسته الباردة، فقال بصوت مختنق:

– بحق السماء يا «دينا» لن أغتصبك. لعنة الله عليك. ألا أستطيع حتى لمس زوجتي! كانت عيناها الزرقاوان واسعتين حذرتين وهي تنظر فوق كتفها إلى نظرته المتأججة الشرسة. وقالت بضيق:

– لا أشعر بأنني زوجتك. لا أشعر بأنني متزوجة بك! وفي الحال خمدت النيران في عينيه وسيطر على أعصابه بطريقة جامدة باردة على عكس طبيعته عندما كان يغضب. ثم قال:

– إنك زوجتي! وسار بجانبها نحو الباب وفتحه وقال مناديًا:

– «ديدر». أحضري بعض القهوة إلى غرفة المكتبة هنا لي ولزوجتي! وركز في كلمة «زوجتي»!

– إن «شت» سيأتي وعليّ أن أرتدي ثيابي. هكذا قالت «دينا» معترضة على قضاء دقائق أكثر وحدها معه! وقال «بليك» ردًا على اعتراضها:

www.rewity.com

– لن يأتي قبل ساعة. ثم سار نحو الأريكة المغطاة بالجلد ووقف لحظة بجانب الطاولة التي في طرفها ليرفع غطاء صندوق السجائر المصنوع من السيراميك، وسألها وهو يوجه نظرة ناحيتها:

– سيجارة؟

– لا، إنني لا أدخن، ألا تتذكر؟ قالت ذلك بصوت يشوبه الضيق، وهز كتفيه ورد:

– ربما اكتسبتِ عادة التدخين في أثناء غيابي.

– لم يحدث. كان صوت وقع الأقدام في البهو يدل على حضور المشرفة على المنزل. وبعد ثوانٍ دخلت غرفة المكتبة وهي تحمل صينية عليها طاقم القهوة وفنجانان من الصيني، كانت لمحة من اللون الأحمر لا تزال بادية على وجنتي «ديدر» وهي تتجنب النظر إلى «بليك» مباشرة، وسألت «دينا»:

– أين تريدين أن أضع الصينية؟

– هناك. وبعد أن وضعت الصينية فوق المائدة على الطرف المقابل للأريكة حيث كان «بليك» واقفًا، استقامت «ديدر» في وقفتها وقالت موجهة كلامها إلى «دينا» ثانية:

– هل تريدين أي شيء آخر؟ وكان «بليك» هو الذي رد قائلا:

– هذا كل شيء. ثم نفث خطًا رفيعًا من الدخان وأضاف:

– وأغلقي الباب وراءك يا «ديدر».

– وهو كذلك يا سيدي. وظهرت بقعتان حمراوان فوق خديها، وبينما كانت «ديدر» تخرج بسرعة وتغلق الباب بإحكام، سار «بليك» نحو الصينية ورفع وعاء القهوة وملأ الفنجانين وقدم واحدًا إلى «دينا» وهو يغريها بالطُعم قائلاً لها:

– إنك تحبينها سادة دون سكر كما أذكر.

– نعم أشكرك. ورفضت «دينا» أن تعض الطُعم وهي تأخذ الفنجان من يده،

وتصاعد البخار الساخن من السائل البني، وترك «بليك» فنجانه لحظة، وأخذ يتفحص الطرف المتوهج لسيجارته وطبقة الدخان الرقيقة المتصاعدة، وبدت على فمه ابتسامة مريرة وقال وهو يفكر:

– كنت قد نسيت كيف يبدو طعم السيجارة طيبًا عندما أدخنها في الصباح.

وشعرت «دينا» بضيق، ولم يسعها إلا أن تقول:

– ظننت أنك لم تنس شيئًا! وأجاب «بليك» وهو يرفع عينيه لتلتقيا بنظرتها القلقة:

– لا لم أنس الأشياء المهمة. وبتنهيدة متقطعة سارت نحو النافذة التي تطل على واجهة العشب الفسيحة للمنزل ومدخله، وتذكرت آخر مرّة عندما حملقت من النافذة في صمت مضطرب، ومن الغريب أنها شعرت وكأن دهرًا قد مضى على ذلك بدلا من الوقت القصير الذي مضى فعلا، وقال «بليك» وكان قريبًا منها على مسافة سنتيمترات قليلة:

– ما الذي تفكرين فيه؟

– كنت فقط أتذكر آخر مرة وقفت فيها بجوار هذه النافذة. وأخذت رشفة من القهوة الساخنة، وقال وقد بدا عليه فضول كسول:

– ومتى كان ذلك؟ وشعرت «دينا» بنظرته تنفذ إليها وكأنه يلمسها، واستجمعت قوتها لتقول بصراحة:

– ليلة حفل خطبتي إلى «شت».

– انسي كل شيء عنه! كان أمره حادًا نافد الصبر كما خَمّنت «دينا». وأجابت بحدة:

– إن عودة عقارب الساعة إلى الوراء ليست بهذه السهولة. وكاد الفنجان يفلت من أصابعها عندما شعرت بلمسة أصابعه الخشنة لشعرها، وتقلص حلقها حتى كتم صوتها وأنفاسها، وقال «بليك»:

– هل أخبرتك بأنني أحب شعرك بهذا الطول؟ كان صوته الخافت أشبه

بعناق أجش يسري في جسمها، وأزاح جانبًا خصلة من شعرها الذهبي وأبعدها عن عنقها، وأحست بدفء أنفاسه تلفح جلدها. وتوقفت لحظة قبل أن تلمح قتامة شعره المتموج أمام عينيها، وراح يُقبّل عنقها ثم شعرت بقلبها وكأنه يسقط، وأخذت تلوي عنقها جانبًا وإلى أسفل. واهتز فنجان القهوة ولكنها استطاعت أن تقبض عليه، وأحاطت ذراعاه بخصرها ولثانية واحدة ساحرة عادت إلى زمن آخر، وفجأة شعرت بذراعين غريبتين عنها. وأمسكت بمعصمه وقالت متوسلة وهي تحاول أن تبعده عنها:

- «بليك» كلا... كلا. كان ضعفها لا يضارع قوته، وشهقت عندما تحرك فمه، وأحست بضعف يسري في أطرافها، كان شعورًا يبعث الدوار وكأن طبولا عنيفة تدق في أذنيها. وهمس «بليك» قريبًا من أذنها:

- هل تتذكرين كيف كنا نتعانق في الصباح؟ قالت:

- نعم. وعادت إليها الذكريات واختفى فنجان القهوة من يدها. فقد أخذه «بليك» بحركة ناعمة من يدها، وضغط عليها قليلا ليديرها نحوه، ورفعت رأسها، ومرة أخرى شعرت بعناقه القوي وقال لها:

- بعد نفورك الليلة الماضية ظننت أنني لم أعد أرغبك، ولكنني أريدك أكثر من قبل! وأطلقت شهقة من حلقها، فلم يذكر كلمة واحدة تدل على الحب، وفي الثانية التالية لم تعد تهتم بشيء في هذا العالم. كان يحاول أن يجعلها تستجيب. وتسللت أصابعها في خلال شعره الغزير، وكأنه تعب من خفض رأسه فشدّد «بليك» من قبضته حول خصرها ليرفعها حتى تصل إلى مستوى نظره! كان هذا دليلا آخر على قوته الزائدة عندما حملها دون أي جهد، ونسيت «دينا» للحظة هذا الدليل على التغيير. فسألها:

- هل عانقك «شت» بهذه الطريقة؟ وحاولت أن تطرد ذكرى عناق «شت» من ذهنها، وتخلصت من قبضته وحملقت إليه بكبرياء مجروحة، وكرر «بليك» سؤاله:

- هل فعل؟ هل أثارك بهذه الطريقة؟ وأجابت بصوت مختنق:

- لن تعرف أبدًا... ربما جعلني أشعر بإحساس أفضل! وتقدم نحوها خطوة مهددًا وقد اسودت ملامحه من الغضب، ولم يكن هناك مكان لـ «دينا» تتراجع إليه، وكان لابد من أن تقف في مكانها رغم عدم قدرتها على الدفاع، وفي تلك اللحظة سمعت طرقًا على الباب، وتوقف «بليك» ونظر إلى الباب بغضب وسأل:

- من الطارق؟ وانفتح الباب ودخل «شت» وقال:

- لقد جئت مبكرًا قليلا، لكن «ديدر» أخبرتني بأنكما تشربان القهوة، وسوف تحضر لي فنجانًا. وسكت وكأنه أحس بالتوتر في الجو، ثم أضاف وكأنه يسأل:

- لم أعتقد أن انضمامي إليكما سيزعجكما. وقالت «دينا» بسرعة:

- بالطبع لا. فقد استعانت به ليخفف من التوتر، وأكمل «بليك» الدعوة فقال:

- ادخل يا «شت»، كنا نتحدث عنك أنا و «دينا». وقال «شت» مداعبًا:

- أرجو أن يكون حديثًا طيبًا. فقال «بليك»:

- نعم! ثم وجه نظرته القاتمة إلى «دينا» وقد بدا في عينيه التجهم والتأمل، ثم أضاف:

- نعم كان حديثًا طيبًا. ولكنه لم يفسر ماذا كان موضوع الحديث. وبدأت تتنفس ثانية وهي تمد يدها إلى حلقها، وتنبهت إلى أنها ترتدي الروب واتخذت هذا عذرًا للانصراف، فقالت:

- إذا سمحتما لي سوف أترككما لشرب القهوة وحدكما. وقال «شت» وهو يقطب جبينه:

- أرجو ألا يكون انصرافك بسببي.

- لا، لا. هكذا أكدت «دينا» بسرعة وهي تتفادى نظرة «بليك» الساخرة

وأضافت:

– كنت سأصعد إلى أعلى لأرتدي ثيابي قبل أن تقدم «ديدر» الإفطار. لن أغيب طويلا. وعندما غادرت «دينا» الغرفة، قابلت «ديدر» وهي تحضر فنجان القهوة لـ «شت». وبعد أن فرغت «دينا» من ارتداء ملابسها وضعت خاتم «شت» في جيب ثوبها، كانت تأمل في أن تستطيع في وقت ما في خلال اليوم أن تتاح لها فرصة إعادته إلى «شت» وهما وحدهما. لكن هذه الفرصة لم تتوفر لها إلا بعد الظهر. علمت الصحافة بنبإ عودة «بليك»، وكان المنزل في حالة حصار مدّة طويلة من النهار، جرس الباب أو جرس التليفون يرن بصورة دائمة، وكان يتعين على «بليك» أن يحدد موعدًا للأحاديث حتى يرتاح، لكن ردوده كانت مقتضبة ودون دخول في تفاصيل، و «دينا» مضطرة باعتبارها زوجته إلى أنْ تكون بجانبه، بينما قام «شت» بدور السكرتير الصحفي والمتحدث باسم شركة «شاندلر»، وأخيرًا في حوالي الساعة الرابعة انتهى الحصار وبدأ هدوء جميل يخيّم على المنزل، وأصرت «نورما شاندلر» على تقديم القهوة والحلوى إلى كل من يحضر، وانشغلت بمساعدة «ديدر» في التنظيف والترتيب بعد انصراف الضيوف، ورن الهاتف وكان المتحدث يطلب حديثًا من «بليك» في التليفون. بينما «دينا» بدأت تساعد السيدتين الأخريين في التنظيف، وعندما لحظت أن «شت» ذهب إلى غرفة المكتبة استأذنت، فقد عرفت أنها قد لاتجد فرصة أخرى لتتكلم معه على انفراد، وعندما دخلت غرفة المكتبة رأته يصب بعض الشراب، كان خاتم الخطبة يحرق دائرة في جيبها.

– هل تصب لي بعض الشراب يا «شت»؟ قالت ذلك وهي تغلق الباب بهدوء.

وهكذا منعت صوت «بليك» من أن يترامى إلى أذنها من غرفة الجلوس. ورفع «شت» رأسه الأشقر وتحولت نظرة الدهشة على وجهه إلى ابتسامة وهو يقول:

– بالطبع. وتناول كوبًا آخر وقال:

– كان يومًا محمومًا جدًّا.

– نعم، أعتقد ذلك. واتجهت «دينا» نحوه لتأخذ كوبها، ورفع «شت» كوبه ليأخذ رشفة سريعة وقال:

– إن صحفيًّا أعرفه يعمل في إحدى الصحف المحلية اتصل بي هذا الصباح وأخرجني من الفراش، كان قد سمع أن هناك بعض التغييرات في شركة فنادق «شاندلر» وأراد أن يعرف التفاصيل، وتظاهرت بالجهل لكن هذا هو الذي دفعني إلى الحضور إلى هنا مبكرًا لأنبه «بليك» إلى أن هجوم الصحفيين في طريقه إليه، كنت أعرف أنهم سيعلمون النبأ بعد فترة.

– نعم. وأومأت برأسها وهي سعيدة بأن نبأ خطبتهما لم يكتب في الصحف وإلا كان الصحفيون سيحولون عودة «بليك» إلى سيرك! وقال «شت» بإعجاب لم يحاول إخفاءه:

– الواقع أن «بليك» يعرف كيف يقابل الصحفيين.

– نعم، أعتقد ذلك. وأخذت «دينا» رشفة من شرابها، وأضاف «شت»:

– وسوف يكون هذا دعاية طيبة للفنادق.

– نعم. وبدأت تشعر بأنها أشبه بدمية يشد خيطها لتومئ برأسها موافقة على كل ما يقوله «شت»، في حين أنها لم تكن تريد أن تتحدث عن هذه الموضوعات.

– أعتقد أن موظفًا في الشركة عرف النبأ وقال لزملائه. قال ذلك وهو يحملق مفكرًا في السائل العنبري في كوبه، وأضاف:

– وجمعت كل كبار الموظفين أمس لأخبرهم بأنه عاد، ولعل الصحفيين عرفوا النبأ بعد ذلك.

– ربما. هكذا قالت موافقة، وبسرعة بادرت بالحديث عن الموضوع الذي أتت من أجله، وقالت:

– «شت»، لقد أردت أن أقابلك اليوم وحدي. ووضعت يدها في جيبها لتخرج الخاتم الألماس وأكملت:

– لأعيد لك هذا. وأخذه من يدها الممتدة وقد بدا عليه ضيق صبياني، ومسحه بإبهامه بين أصابعه وهو يحملق إليه دون أن ينظر إلى الوميض الزمردي في عينيها.

– لا أريدك أن تتصوري أنني تركتك أمس. كان صوته مختلجًا ويكاد يكون معتذرًا، وأضاف:

– ولكنني أعرف شعورك نحو «بليك» ولم أشأ أن أقف في طريق سعادتك. وعندما فسر «شت» السبب في أنه فسخ خطبتها بسرعة، رفع رأسه ليحملق إلى وجهها بحزن وفي عينيه لمحة مضطربة من الزرقة القاتمة، واجتاحت «دينا» عاطفة قوية، بسبب عدم أنانيته ومراعاته لشعورها وتضحيته برغباته من أجلها، وقالت:

– نعم، أفهم موقفك يا «شت». وبدا الارتياح في ابتسامته وقال:

– لابد من أنك سعيدة حقًا بعودته.

– أنا! وكادت تكرر الكلمات نفسها بأنها سعيدة بعودته التي ظلت تقولها طول اليوم، كانت مستعدة لأن تنطق الكلمات على نحو آلي ولكنها منعت نفسها، لكن «شت» أفضل صديق لها وأفضل صديق لـ «بليك» أيضًا بالإضافة إلى أشياء أخرى، ومعه تستطيع أن تقول رأيها بصراحة فقالت:

– لقد تغير يا «شت». وتردد لحظة قبل أن يرد، وكأنه فوجئ بردها، فأراد أن يصوغ إجابته بعناية، وقال:

– إذا تذكرت كل ما مر به «بليك» فلابد من أنه ترك أثرًا فيه.

– أعرف، لكن... وتنهدت في قلق وخيبة أمل، لأنها لم تستطع أن تجد الكلمات التي تفسر ما تعنيه بالضبط.

– لا تقلقي، اسمعي... هكذا بدأ «شت» يهون عليها الأمر، فوضع كوبه على

المائدة وأمسكها برقة من كتفيها وأحنى رأسه ليحملق إلى وجهها الخائف، واستطرد قائلا:

– عندما يكون هناك شخصان متحابان مثلك و «بليك»، فإنهما يستطيعان أن يحلا خلافاتهما، لكن هذا لا يمكن أن يحدث في يوم وليلة. وصمت لحظة ثم عاد يقول:

– هيًا، دعيني أرى ابتسامة صغيرة، ما رأيك؟ إنك تعرفين تمامًا أنه لم يحدث شيء سيئ كما تتصورين. ولاحت ابتسامة على شفتيها رغمًا عنها عندما سمعت كلماته، وشعرت بأن تأثيره فيها لايزال كما هو، وابتسم ابتسامة عريضة وقال لها:

– هذا أفضل.

– أوه... «شت»... هكذا قالت «دينا» بتنهيدة ضاحكة وأحاطته بذراعيها برقة وهي تحرص ألا ينسكب شرابها، وعانقته بحب ثم أبعدت رأسها قليلا عنه لتحملق إليه وتقول:

– ماذا أفعل دونك؟

– أرجو ألا يكتشف أحد منا هذا! هكذا كان تعليقه. واستدار مقبض الباب وفتح «بليك» باب غرفة المكتبة، وعندما رأى «دينا» بين ذراعي «شت» تجمّد وأصيبت هي بالشلل نفسه، وشحب وجهها عندما رأت شفتيه تتحولان إلى خط رفيع غاضب، لكن عنف مشاعره لم يظهر في صوته عندما قال بطريقة عرضية:

– هل هذا حفل خاص أم يستطيع أن ينضم إليكما أي شخص؟ وعندما سمعت «دينا» سؤاله وقفت بلا حراك، وسحبت ذراعيها من حول عنق «شت» لتحمل كوبها بكلتا يديها، والتفت «شت» ليحييه دون أن يشعر بالتوتر الذي زاد في الجو.

– الآن وأنت هنا يا «بليك» نستطيع أن نشرب نخبًا لآخر مخبر صحفي.

قال ذلك في نبرة احتفال دون أن يبدي أي اهتمام بالمنظر الذي قاطعه «بليك» بدخوله الغرفة.

– لفترة على أية حال. هكذا قال «بليك» موافقًا، ثم انتقلت نظرته إلى «دينا» وسألها:

– ماذا تشربين؟ وفكرت: لن يحدث انفجار الآن... إن «بليك» سوف ينتظر حتى يكونا بمفردهما. وقال:

– سوف أشرب الشيء نفسه! وانصرف «شت» في ساعة متأخرة من ذلك المساء، وكانت كل دقيقة تمر بعد ذلك تشحذ أعصاب «دينا» وتحولها إلى حد موسى دقيق، وبعد انصرافه لم تعد تستطيع احتمال قلق الانتظار للمواجهة التي لابد من أن تحدث مع «بليك»، وعندما سمعت صوت سيارة «شت» تخرج من الممر أمام باب المنزل، وقفت «دينا» في البهو لتتحدى «بليك» وقالت له:

– ألا تعتزم أن تقول ما يدور في ذهنك؟ ولم يتظاهر بأنه يجهل سؤالها، كانت نظرته قاسية جامدة وقال:

– ابعدي عن «شت». لقد وجه إليها وحدها اللوم على المقابلة البريئة مع «شت»، وكان رد فعلها نوبة عارمة من الغضب، وقالت:

– وماذا عن «شت»؟

– إنني أعرف «شت» معرفة كافية تجعلني واثقًا بأنه لن يطأ أرضي إلا إذا تلقى تشجيعًا على ذلك. وردت:

– المفروض إذن أن أتجنبه، أليس كذلك؟

– المفروض أن أية علاقة كانت بينك وبينه في غيابي قد انتهت. هكذا صرح «بليك» بنبرة باردة. ثم استطرد قائلاً:

– ومن الآن فصاعدًا يعتبر مجرد واحد من معارفي.

– هذا مستحيل! وسخرت من فكرة أنها تستطيع أن تخرج «شت» من

حياتها بإشارة من أصبعه، وقالت:

– لا أستطيع أن أنسى مكانته عندي بهذه السهولة. وفوجئت بقبضتين من الحديد تغرزان في بشرة ذراعيها الناعمتين، وشدها إليه والتهبت أنفاسها عندما لمست صدره الصلب، وسحق عظامها بنار غضب عناقه، وكان عناقًا وضع علامة ملكيته عليها وأزالت أية ذكرى لشخص آخر. وخلصت «دينا» نفسها من عناقه المؤلم بالقوة نفسها، وتراجعت خطوة وقد اعتراها الغضب وفقدت أعصابها، وقالت بغضب يائس:

– أنت... وحذرها «بليك» قائلا:

– لا تدمغيني يا «دينا». وحملق كل منهما إلى وجه الآخر في صمت غاضب، ولم تكن «دينا» لتعرف إلى متى ستستمر معركة رغبتيهما لو لم تدخل أمه في البهو بعد لحظات، فوضع كل منهما قناعًا يخفي به نزاعه الشخصي عن عينيها.

– لقد أخبرتني «ديدر» حالا بأنك طلبت منها أن تحضر بعض البطانيات إلى غرفة المكتبة يا «بليك». كانت «نورما شاندلر» تبدو مقطبة الجبين واستطردت تقول:

– لا يمكن أن تنام هنا هذه الليلة أيضًا! ورد بإصرار:

– نعم، سأنام هنا يا أمي! وقالت معترضة:

– لكن هذا سلوك غير متحضر.

– ربما. هكذا اعترف «بليك» لحظة وهو يواجه نظرة «دينا»، ثم أضاف:

– ولكنه أيضًا أفضل كثيرًا من عدم النوم. وتنهدت أمه ووافقت رغمًا عنها قائلة:

– أعتقد ذلك. ثم قالت:

– تصبح على خير يا عزيزي. ورد قائلاً:

– تصبحين على خير يا أمي. ثم رفع حاجبًا ونظر إلى «دينا» وقال ببرود:

– تصبحين على خير!

- 5 -

كان باب المكتبة مفتوحًا عندما هبطت «دينا» إلى الطابق الأرضي في صباح اليوم التالي، وسارت نحو غرفة الطعام حيث كانت القهوة وعصير الفواكه موضوعين فوق المائدة. لكن لم يكن هناك أثر لـ «بليك» وصبت لنفسها بعض القهوة والعصير وجلست إلى المائدة، وعندما قدمت المشرفة على المنزل سألتها «دينا»:

– ألن يتناول «بليك» الإفطار هذا الصباح؟ وأجابت «ديدر»:

– نعم يا سيدتي. لقد خرج منذ قليل. وقال إنه سيتناول الإفطار مع «جاكوب ستون» ثم يذهب إلى المكتب من هناك. ألم يخبرك؟

– بلى. أعتقد أنه أخبرني. لابد من أنني نسيت فقط. هكذا قالت «دينا» كذبًا. واغتصبت ابتسامة على شفتيها. وقالت المرأة وهي تومئ برأسها:

– لقد انزعجت السيدة «شاندلر» كثيرًا من خروجه. وقطبت «دينا» جبينها وقالت مستفسرة:

– هل انزعجت لأنه سيقابل المحامي؟ وقالت «ديدر» موضحة:

– كلا، بل انزعجت لأنه سيذهب إلى المكتب. كان من رأي السيدة «شاندلر» أن ينتظر أيامًا قليلة. أقصد أنه عاد منذ فترة وجيزة ويذهب إلى العمل هكذا فورًا.

– من المحتمل أنه يريد أن يطمئن على سير كل شيء. وانتابها شعور بالسعادة والرضا، لأنه سوف يجد الأعمال كلها تسير بسهولة، والفضل في ذلك يرجع إليها إلى حد كبير. وسألتها «ديدر»:

– ما الذي تريدينه للإفطار هذا الصباح يا سيدة «بليك»؟ هل أعد لك طبقًا

من العجة؟

– أعتقد أنني سأكتفي بالقهوة والعصير يا «ديدر». أشكرك. كانت تريد أن تكون في المكتب قبل أن يصل «بليك». حتى تستطيع أن ترى وجهه عندما يدرك كيف أدارت الأمور بكفاءة في غيابه.

– كما تريدين يا سيدتي. هكذا قالت المشرفة على المنزل وقد بدا عليها أنها لا توافق على عدم تناول «دينا» إفطارها. كانت حركة المرور في الصباح أكثر ازدحامًا من المعتاد، وتضايقت «دينا» من التأخير الذي نتج من هذا، ومع ذلك استطاعت أن تصل إلى المكتب في موعدها المعتاد. شعرت بالارتياح؛ لأن «شت» قد أبلغ موظفي الشركة بنبأ عودة «بليك» وقد وفّر عليها القيام بتلك المهمة. سيكون لديها وقت لمراجعة ملاحظاتها بالنسبة إلى اجتماع المسؤولين بعد ظهر اليوم، ويتسع وقتها أيضًا لإنجاز قسط كبير من العمل الروتيني صباح يوم الاثنين قبل أن يصل «بليك». سارت في الردهة متجهة إلى غرفتها... وكانت خطاها مستقيمة بينما أخذت تومئ برأسها تحية الصباح للموظفين الذين تقابلهم في طريقها، لم تكن ترغب في أن تتوقف وتتحدث مع أي شخص حتى لا تضيع وقتها الثمين، وبدت سعيدة جدًا وهي تدخل مكتب سكرتيرتها الخاصة، وقالت بنبرة بهيجة:

– صباح الخير يا «آمي». وردت السكرتيرة الشابة بالابتسامة السعيدة نفسها وهي تقول:

– صباح الخير يا سيدة «شاندلر». إن السعادة تبدو عليك هذا الصباح. وقالت «دينا» موافقة:

– نعم، إنني سعيدة فعلاً. كانت سكرتيرتها تتصفح بريد الصباح. فسارت نحو مكتبها لترى ما إذا كان هناك شيء مهم يجب أن تطلع عليه قبل أن يصل «بليك».

– لابد من أن سعادتك ترجع إلى عودة السيد «شاندلر». أليس كذلك؟ هكذا

سألت «آمي» وهي تبتسم ابتسامة من يعرف مثل هذا الوضع. ولم تكن «دينا» تحتاج إلى أن تبدي أي تعليق، واستمرت سكرتيرتها تقول:

– جميع الموظفين هنا سعداء جدًا بعودته سالمًا.

– وأنا أيضًا يا «آمي». قالت «دينا» هذا وهي تومئ برأسها وتلقي نظرة إلى البريد من فوق كتف الفتاة، وسألتها:

– هل يوجد أي شيء خاص في البريد هذا الصباح؟

– نعم. هكذا أجابت سكرتيرتها وهي تعيد اهتمامها إلى كوم الرسائل.

– هل جاءتني مكالمات تليفونية؟

– مكالمة واحدة فقط، لقد اتصل بك «فان باتن». وسألت «دينا» بعد أن انتهت بسرعة من مراجعة البريد:

– هل ترك رسالة؟

– أوه، كلا. ثم أسرعت مفسرة قائلة لها:

– لقد تلقى السيد «شاندلر» المكالمة. وكررت «دينا»:

– السيد «شاندلر»! هل تقصدين أن «بليك» وصل فعلا هنا؟

– نعم، إنه في الغرفة. وتحركت «آمي» نحو غرفة المكتب الخاصة بـ «دينا» و استطردت قائلة:

– إنني متأكدة أنه لن ينزعج إذا دخلت يا سيدة «شاندلر»! ومرت لحظات دون أن تستطيع «دينا» أن تنطق بكلمة واحدة من شدّة ذهولها، وشعرت بكبريائها تقول معترضة: إنها غرفتها هي، ومع ذلك فإن سكرتيرتها هي تتنازل وتعطيها الإذن بدخول الغرفة! كان «بليك» قد دخل الغرفة واستطاع أن يعطي الانطباع بأنها قد خرجت منها! واسودت عيناها الزرقاوان من الغضب، واستدارت بسرعة وسارت نحو الغرفة الخاصة، ولم تحاول أن تطرق الباب ولكنها دفعته فقط فانفتح ودخلت الغرفة. كان «بليك» جالسًا خلف المكتب الكبير المصنوع من خشب الجوز، وكان هذا مكتبها هي، ورفع

وجهه عندما دخلت، وفقدت أعصابها عندما رفع حاجبيه بطريقة متغطرسة متسائلة! وسألته:

– ماذا تفعل هنا؟ وأجاب «بليك» بهدوء مثير:

– كنت على وشك أن أوجه لك السؤال نفسه! وردت «دينا» بغضب:

– أعتقد أن هذا مكتبي أنا، وهذه الفتاة في الخارج سكرتيرتي أنا! ولمحت بعينيها الثائرتين الأوراق في يديه وأدركت أنها تشمل الملاحظات التي كانت ستراجعها بشأن اجتماع المسؤولين بعد ظهر اليوم، واستطردت قائلة:

– وهذه أوراقي أنا. واتكأ إلى الوراء في المقعد الدائري وهو يتابع نوبة غضبها بانفعال قليل، ولوّح بيده في حركة شاملة وقال:

– كان اعتقادي أن كل هذا يخص الشركة. وقالت تذكّره:

– والواقع أنني أنا المسؤولة عن الشركة. وصحح «بليك» كلامها بقوله:

– كنتِ مسؤولة عن الشركة، أما الآن فأتولى أمورها! كانت ترتجف بعنف الآن ولم تعد تستطيع السيطرة على غضبها، وحاولت جاهدة أن يظل صوتها خفيضًا حتى لا تكشف له مدى ما سببه لها من ضيق، وقالت مكررة:

– أنت تتولى أمورها؟ هكذا بكل سهولة؟ وطرقعت أصابعها، وهز «بليك» كتفيه وأمسك بعض الأوراق على المكتب وقال:

– لقد انتهت مهمتك، وقد قمت بها على نحو رائع، وهذا واضح من كل ما رأيته هذا الصباح. كان هذا هو المديح الذي أرادت أن تسمعه، ولكنه لم يُنقل إليها بالطريقة التي كانت تريدها، ولذلك لم يبعث السعادة أو الرضا في نفسها، وهكذا لم تشعر ببهجة نجاحها، وسألته:

– وما المفروض مني أن أفعل؟

– تذهبين إلى البيت وتعودين إلى مكانك، زوجتي. كان العبوس يبدو على ملامحه الخشنة التي لفحتها الشمس وكأنه لا يفهم سبب غضبها، وقالت «دينا» متحدية:

– وماذا أفعل؟ أجلس مسترخية وألف إبهاميّ حول بعضهما طول اليوم حتى تعود إلى البيت؟ «ديدر» تقوم بأعمال البيت من طهو وتنظيف. إنه منزل أمك يا «بليك»، ولا يوجد لي عمل هناك!

– إذن ابدئي الآن في البحث عن شقة لنا، أو عن منزل لنا وهذا أفضل. كانت هذه رغبتك من قبل، أن يكون لنا منزل خاص بنا، تستطيعين تزيينه وتأثيثه بالطريقة التي تحبينها. كان جزء منها لايزال يرغب في ذلك. لكن هذه الرغبة لم تعد القوة الدافعة في حياتها، وقالت:

– كان هذا من قبل يا «بليك»، لقد تغيرت... وحتى إذا حدث وأصبح لنا بيت وقمت بتأثيثه وتزيينه بالطريقة التي أحبها، ماذا أفعل بعد ذلك؟ هل أجلس بلا عمل وأبدي إعجابي بما حولي ، كلا... إنني أحب عملي هنا وأستمتع به، إنه عمل جاد مجد. كان يجلس في كرسيه يراقبها بعينين ضيقتين، وقال لها:

– إن كلامك معناه أنك تستمتعين بالسلطة التي تصحب هذا العمل.

– نعم، أستمتع بالسلطة. هكذا اعترفت «دينا» دون تردد، وبدت لمحة من التحدي في صوتها المشدود، وأضافت:

– إنني أستمتع بالتحديات والمسؤوليات أيضًا، والرجال لا يحتكرون مثل هذه الأحاسيس. وسألها «بليك»:

– ماذا تقترحين يا «دينا»؟ هل تريدين أن نعكس دورينا وأصبح أنا المشرف على البيت فأبحث عن المنزل وأقوم بتزيينه وتنظيفه والترحيب بالضيوف؟

– لا... إنني لا أقترح ذلك. كان الاضطراب يمزقها ولم تعرف ما هو الحل، وعاد «بليك» يقول:

– ربما تريدينني أن أقوم برحلة أخرى بالطائرة إلى «أمريكا الجنوبية»، وفي هذه المرّة لا أحاول العودة!

– لا، لا أريد ذلك، ولا تحاول تحريف كلماتي! وتدفقت الدموع الحارة

من عينيها... ولم تعد تستطيع السيطرة على الاضطراب العاطفي داخلها، وأشاحت بوجهها بعيدًا وهي تطرف بشدة على الدموع وتحاول أن تحبسها قبل أن يراها «بليك»، وأنذرها صوت الكرسي الدائري بينما نهض «بليك» واقفًا واقترب منها. كانت رئتاها تتفجران ولكنها خائفة من أن تأخذ نفسًا خشية أن يبدو مثل نشيج بكاء! وقال يتهمها بنفاد صبر:

– هل هذه هي الطريقة التي تواجهين بها خلافًا في العمل؟ كانت «دينا» تدرك أنه يقف بجانبها، وحرصت على أن تحول وجهها بعيدًا عنه حتى لايرى الدموع في عينيها، وقالت كاذبة:

– لا أعرف ماذا تقصد. وأطبق إبهامه على ذقنها وأدارها نحوه حتى يستطيع أن يرى وجهها وقال:

– هل اعتدت التصرف بطريقة الأنثى والبكاء بالدموع حين لا تنفذ رغباتك؟ كان جدار الدموع صلبًا جدًّا لدرجة أن «دينا» لم تر وجهه إلا بصعوبة، وقالت وهي تدفع اليد التي تقبض على ذقنها:

– كلا، هل تشن هجومك دائمًا على مستوى شخصي كلما خالفك شخص في رأيك؟ وسمعته يتنهد طويلا بضيق، ثم أمسكت أصابعه بمؤخرة عنقها وضغط على رأسها ليسنده إلى صدره، ثم أحاطها بذراعه ليجذبها نحوه، كان عناقًا قويًا دافئا، لكن «دينا» تعمدت أن تظل غير مكترثة لمحاولة «بليك» لتهدئتها وشعرت بضغط ذقنه يستقر فوق رأسها، وتمتم «بليك» قائلاً:

– هل لكِ أن تخبريني بما هو المفروض مني أن أفعله في هذا الشأن؟ ومسحت دموعها بأصابع مرتجفة وقالت وهي تتنهد:

– لا أعرف.

– خذي. ووضع يده داخل جيب سترته ليناولها منديله، وسمعا طرقًا خفيفًا على الباب، ووقف «بليك» جامدًا، ثم قال:

– من الطارق؟ لكن الباب فتح بالفعل، وحاولت «دينا» أن تتخلص من

ذراعيه ولكنه شد قبضته حولها وكأنه يريد أن يحميها من شيء، واستسلمت لقبضته وظهرها متجه إلى الباب، وسمعت «شت» يعتذر بنبرة حزن ويقول:

– آسف... أعتقد أنني اعتدت دخول الغرفة دون إذن. ولابد من أنه أتى بحركة لينصرف لأن «بليك» قال له:

– إنك لا تزعجنا، تعال، ادخل يا «شت». وسحب ذراعه ببطء من حول «دينا» وأضاف:

– أرجو أن تلتمس العذر لـ «دينا»، فهي لا تزال تنفعل من حين إلى آخر بعد عودتي. قال هذا ليبرر دموعها والمنديل الذي كانت تستعمله لمسح آثار البكاء، وقال «شت»:

– إنني أفهم الوضع، لقد حضرت لأبلغك أن الجميع موجودون هنا وهم ينتظرون في غرفة الاجتماعات. وعندما سمعت «دينا» ما قاله رفعت رأسها بدهشة وفزع وكررت الكلمة:

– اجتماع؟ وقطبت جبينها واستطردت قائلة:

– لا يوجد أي اجتماع على جدول أعمالي هذا الصباح! وأعلن «بليك» بهدوء:

– لقد طلبت عقد الاجتماع. والتقت نظرته الساخرة بنظرتها الحادة، ثم حوّل اهتمامه إلى «شت» بطريقة توحي بأنه يريده أن ينصرف وقال:

– أخبرهم بأنني سآتي بعد دقائق قليلة.

– سأخبرهم. وغادر «شت» الغرفة. عندما سمعت «دينا» صوت الباب وهو يغلق، انقلبت على «بليك»وعاد إليها غضبها واتهمته بقولها:

– لم تكن لتنوي قول أي شيء عن الاجتماع، أليس كذلك؟ وسار «بليك» نحو المكتب وبدأ يقلب في الأوراق الموضوعة فوقه، ثم قال:

– مبدئيًا لا، لم أر ضرورة لأخبرك. وسخرت «دينا» من عبارته المتجاهلة المتغطرسة، فكررتها قائلة:

– لم تر ضرورة لتخبرني!

– حتى أكون صادقًا يا «دينا». والتفت لينظر إليها وقد بدت ملامحه الصلبة وكأنها نحتت من حجر، واستطرد قائلاً:

– الواقع أنه لم يخطر على بالي أنك ستأتين إلى المكتب اليوم. وحملقت إلى وجهه وهي مضطربة لا تصدق وقالت:

– ولم لا؟

– اعتقدت أنك سوف تشعرين بالسعادة وإن لم يكن بالامتنان؛ إذ أتولى مسؤولية الإشراف على الشركة ثانية، وأنك كنت تعتبرين نفسك مجرد رئيسة مؤقتة ويسعدك التحرر من أعباء المسؤولية، وأنك ستسعدين بالعودة إلى دور ربة البيت. وردت «دينا» قائلة:

– من الواضح أنك لا تعرفني جيدًا. ورد «بليك» بتجهم:

– هكذا بدأت أكتشف. قالت تتحداه:

– ماذا أفعل الآن؟ وقال:

– لا يوجد رجل يحب منافسة زوجته على وظيفة، وليس لدي نية في أن أتصرف معك على هذا النحو. وجادلته «دينا» قائلة:

– لمَ لا؟ إذا كنت أساويك في الكفاءة. وقاطعها «بليك» وقد تحولت عيناه إلى قطعتين من الفولاذ القاتم:

– ولكنك لست في مثل كفاءتي.

– نعم أساويك كفاءة. من المؤكد أنه قد أثبت ذلك، وتجاهل تأكيدها وقال:

– أولا: أعتقد أن فارق السن بيننا يعطيني أربع عشرة سنة خبرة في العمل أكثر منك. ثانيًا: لقد أرسلني والدي لأعمل صبي جرسون عندما كنت في الخامسة عشر من عمري، بعد ذلك عملت حمالا وكاتبًا في مكتب وطباخًا ومديرًا... معنى هذا أن مؤهلاتك لا قيمة لها إذا قورنت بمؤهلاتي! والواقع أن منطقه قضى على عجرفتها المنفوخة، وجعلها تبدو أشبه بفتاة حمقاء أو

طفلة تحتج وتغضب؛ لأن أحدًا أخذ منها لعبتها. كانت «دينا» قد تعلمت كيف تخفي مشاعرها، وقد استعملت هذه المهارة لصالحها، وقالت بجمود:

– لعلك على حق، كنت قد نسيت أنني مجرد رئيسة صورية، وأن «شت» هو الذي كان يتولى مسؤولية إدارة الشركة. ورفض «بليك» هذا القول بسخرية واحتقار وقال:

– لا تكوني مضحكة، إن «شت» لا يستطيع أن يتخذ أي قرار مهم. واتسعت عيناها لهذا الاتهام، وقالت:

– كيف تستطيع أن تقول هذا؟ لقد كان وفيًا لك طول هذه السنوات، إنه أصدق صديق لك. كان الوميض الساخر في عينيه يضحك من إشارتها إلى وفاء «شت» ويذكرها بخطبة «شت» لها، ولكنه لم يذكر ذلك عندما تكلم وقال:

– إن مجرد كونه صديقي لا يعني أن أتغاضى عن أخطائه. ورغم ارتباكها لم تتابع «دينا» الموضوع، كانت أرضًا خطرة ومن المحتمل أن تحول الحديث إلى مستوى شخصي، وكانت في هذه اللحظة تريد أن يظل على مستوى العمل، وقالت:

– لا يهم شيء من هذا في الواقع، إن النتيجة الأساسية واحدة وهي أنني تركت العمل وأنك توليت المسؤولية. ومد «بليك» يده إلى شعره وعبث فيه حتى أصبح أشعث على نحو جذاب، وسألها في نفاد صبر:

– ما هو المفروض عليّ أن أفعله يا «دينا»؟

– هذا يتوقف عليك. قالت هذا وهي تهز كتفيها وتتظاهر بعدم الاهتمام البارد، بينما كان كل جزء منها غاضبًا من الضياع الذي يدخل حياتها، واستطردت قائلة:

– إذا لم يكن لديك مانع من أن أستعير سكرتيرتك، فستجد رسالة استقالتي على مكتبك عندما تعود من اجتماعك. وتوتر «بليك» من تهكمها اللاذع وقال:

– لا، لا أمانع. وعندما استدارت على عقبيها لتغادر الغرفة طوى المسافة بينهما بخطوات طويلة وقبض على مرفقها وأدارها نحوه، وقال وقد تحولت عيناه إلى وهج من الغضب:

– ماذا تتوقعين مني أن أفعل؟

– لا أعرف. وقاطع كلامها بقوله:

– هل تريدين أن أعطيك منصبًا في الإدارة؟ هل تريدين هذا؟ وقفزت لمحة أمل إلى وجهها، فبعد أن عبر «بليك» عن هذا بالكلمات أدركت أن ذلك هو ما تريده بالضبط، أن يكون لها دور في إدارة الشركة وأن تشترك في إدارتها، لكن «بليك» قال بغضب:

– لا أستطيع أن أفعل هذا يا «دينا». وشعرت بخيبة أمل وسألت بصوت رفيع:

– لماذا؟

– لا أستطيع أن أمضي في فصل الموظفين عن العمل حتى تحلّي محلهم! فبصرف النظر عن الحقيقة بأن هذا يعني تحيزًا، فإنه يتضمن أيضًا أنني لاأوافق على الأشخاص الذين عينتهم أنت لشغل المناصب الرئيسية.،والاستنتاج المنطقي من ذلك يكون أنني اعتقدت أنك لم تقومي بعملك جيدًا في إدارة الشركة في أثناء غيابي. كان وجهه جامدًا متجهمًا واستطرد قائلا:

– لابد من أن تمضي عدّة سنوات قبل أن أستطيع القيام بأية تغييرات لاتنعكس عليك على نحو سيئ.

– هذا ينهي الموضوع إذن، أليس كذلك؟ وكانت في صوتها رجفة تكذب نبرة التحدي فيه، واصطكت أسنانه وظهرت عضلة على فكه، وقال:

– إذا لم تكوني زوجتي... وكاد يقدم تفسيرًا آخر لأن يديه مقيدتان في هذا الموضوع.

– يمكن علاج هذا بسهولة يا «بليك». هكذا ردت «دينا» بحدّة وشدّت ذراعها

قبل أن تزيد قبضته عليها، وتوقعت أن يمسكها ثانية ولكنه لم يحاول هذا. قال وهو يخرج الكلمات بدقة لاذعة:

– إنك تخطئين في هذا! كانت «دينا» تهتز في داخلها أمام نظرته النافذة. وبدلاً من أن تعترف بقدرته على إثارة الفزع في نفسها، التفتت بعيدًا وقالت بشيء من الاتزان:

– هذا لا يهم على أية حال، ستكون رسالة استقالتي فوق مكتبك في خلال ساعة. وسارت نحو الباب، ومنعها أمر صوته الحاد من مغادرة الغرفة عندما قال:

– «دينا». قالت دون أن تنقل يدها من مقبض الباب أو تحول وجهها ناحيته:

– ماذا؟

– ربما أستطيع أن أعطيك منصبًا استشاريًا. كانت كلماته جامدة، فقلل ذلك من حركة المصالحة معها، وقالت «دينا» بغضب وهي تفتح الباب:

– لا أريد أية خدمات، ومن المؤكد أنني لا أريدها من «بليك شاندلر» العظيم. وصفقت الباب على سيل من الكلمات الغاضبة.

وعندما ابتعدت «دينا» عن الباب لحظت نظرة السكرتيرة الغريبة وعينيها اللتين اتسعتا دهشة، وأدركت «دينا» في صمت أن جدران المكتب الخاص سميكة، ولكنها شكت في أن سمكها كافٍ لمنع سماع الأصوات المرتفعة في النقاش، وتساءلت... ترى إلى أي حد يبدو واضحًا على وجهها أثر مشادتها مع «بليك»؟ وحاولت أن تبدو مسيطرة على نفسها وهي تتجه نحو مكتب «آمي»، وأمرتها قائلة وهي تحاول أن تتجاهل نظرة الدهشة التي تلقتها:

– اتركي أي شيء تعملينه يا «آمي».

– لكن... قالت السكرتيرة الشابة هذا وهي تنظر بتردد ناحية المكتب الداخلي الذي غادرته «دينا» لتوها، وكأنها لا تعرف إذا كان يتعين عليها

أن تطيع أوامر «دينا» أم «بليك». ولم تعطها «دينا» فرصة لتحول أفكارها إلى كلمات وقالت:

– أريدك أن تكتبي على الآلة الكاتبة رسالة استقالة مني، إنك تعرفين الصيغة الرسمية لهذه الأشياء، حاولي فقط أن يكون بسيطًا ومباشرًا وساري المفعول في الحال!

– أمرك يا سيدة «شاندلر». هكذا تمتمت «آمي»، وبسرعة أزاحت الغطاء من فوق الآلة الكاتبة الكهربائية. وانفتح الباب الذي يوصل للمكتب، ونظرت «دينا» من فوق كتفها فرأت «بليك» يخرج منه. واستطاعت أن تلحظ أنه يحاول جاهدًا السيطرة على نفسه ولكنها كانت كمن ترى حيوانًا متحفزًا مقيدًا بسلاسل، وفي اللحظة التي يتخلص فيها من قيوده سينقض على فريسته ويمزقها إربًا، وكانت هي فريسته! وتسمّرت في مكانها بسبب النظرة الخطيرة في عينيه حتى تعرف أنه يقترب نحوها، وانتظرت بلا حراك وهو يسير إليها. كانت قوة حيويته القاتمة تتذبذب فوق أطراف أعصابها وتجعلها توخز في ألم شديد.

– «دينا»، أنا... ولم ينطق «بليك» بقية جملته، فقد دخل «شت» الغرفة من الباب المؤدي إلى الردهة الخارجية، وقال عندما رأى «بليك»:

– لقد أتيت لأعرف متى ستحضر الاجتماع، يبدو أنك في الطريق إليه. وتحول بنظرة اهتمام إلى «دينا» وبدا الاضطراب في عينيه عندما لاحظ خطوط التوتر البيضاء على وجهها، وقال «بليك» بنبرة جامدة:

– نعم، إنني في طريقي إلى الاجتماع. ثم نظر إلى «دينا» وقال:

– أريدك أن تحضري الاجتماع يا «دينا». كان العنف المستتر في نظرته يتحداها أن ترد عليه، لكن «دينا» شعرت بالأمان في صحبة الآخرين. وقالت:

– كلا، من الأفضل أن يدرك كل شخص أنك تتولى إدارة الشركة الآن، ولاداعي لإثارة ارتباكهم بحضور رئيس سابق للشركة. ورأت فمه رفيعًا عندما

سمع ردها، والتفت بحركة توحي بأنها ترفض عرضه، وقال «شت» موافقًا على رأيها:

– إن «دينا» على حق. لكن نظرة حادة من «بليك» جعلته يتراجع ويقول:

– إلا إذا رأيت عكس ذلك بالطبع. وقال «بليك» بسرعة:

– دعنا نذهب. وفي عاصفة صامتة خرج من الغرفة وسحب «شت» في أعقابه، وترك «دينا» تشعر بالضعف والإرهاق. كانت أعصابها أشبه بأسلاك رقيقة يمكن أن تنهار من أقل ضغط، وعندما انتهت السكرتيرة من كتابة رسالة الاستقالة ارتجفت يدها وهي تضع توقيعها عليه، وقالت للسكرتيرة وهي تعيدها إليها:

– ضعيها على مكتب السيد «شاندلر».

– لقد سعدت بالعمل معك يا سيدة «شاندلر». هكذا قالت السكرتيرة الشابة بينما استدارت «دينا» لتنصرف، وكانت كلماتها تنطق بالإخلاص، وابتسمت «دينا» وقالت:

– أشكرك يا «آمي». ثم خرجت من الغرفة مسرعة، وتركت المبنى واتجهت إلى سيارتها. كانت لاتشعر بالرغبة في العودة إلى المنزل لتستمع إلى الحديث السعيد للأم «شاندلر» عن عودة «بليك». لم يكن في ذهنها مكان معين تتجه إليه، فدخلت السيارة وانطلقت، وأخذ الهواء يطيّر شعرها الذي تألق وكأنه ضوء شمس سائل في هواء الصباح، وقادت السيارة في كل مكان، في الشوارع الخلفية والطرق الرئيسية والشوارع الجانبية لمدينة «نيوبورت». كانت الدموع تعمي عينيها معظم الوقت بحيث لم تكن لتعرف أين هي ولم تلحظ صف القصور الشاهقة في «بلفو أفينيو» ولا الجماهير التي تجمعت على رصيف الميناء البحرية لتجربة السباقات على الكأس الأمريكية. لم تكن لتعرف من هي؟ ولا ماذا هي؟ ولا لماذا هي؟ فمنذ عودة «بليك» لم تعد «دينا شاندلر». لقد أصبحت مرة أخرى السيدة «بليك شاندلر» وضاعت في شخصية زوجها.

لم تعد سيدة أعمال، ولكنها في الوقت نفسه لم تشعر بأنها زوجة وربة بيت، فلم يكن لها بيت وكان زوجها غريبًا عنها. أما عن السبب فقد كانت حالة اضطراب كاملة ولا تعرف شيئًا! ومن حسن الحظ أنها ألقت نظرة إلى عداد البنزين ووجدت المؤشر يحوم فوق علامة أنه فرغ. واضطرت أمام الأمر الواقع إلى أن تخرج من دوامة أسئلتها المضطربة، وظلت الأسئلة بعيدة حتى وصلت إلى محطة بنزين، وانتظرت في المكان المخصص لملء خزان السيارة بالبنزين، ثم عادت الأسئلة بقوة هائلة وانكمشت «دينا» تحت قوتها، وتصادف أن وقعت نظرتها الباحثة القلقة على تليفون المحطة، وسارت مندفعة إلى مكانه ودون أن تشعر أدارت رقم الشخص الوحيد الذي كان دائمًا يساعدها عندما ينتابها مثل هذا الاضطراب العاطفي، وسمعت عاملة التليفون ترد وقالت «دينا» بصوت مختلج:

– أريد أن أتحدث إلى «شت ستانتون» من فضلك.

– من المتحدث، من فضلك؟ ترددت «دينا» جزءًا من الثانية قبل أن تقول:

– صديقة. ومرت لحظة اعتقدت «دينا» في أثنائها أن عاملة التليفون سوف تطلب جوابًا أدق من ذلك، ولكنها سمعت المكالمة تحول إليه وسمعت صوته المألوف يقول عبر التليفون:

– «شت ستانتون» يتكلم. وقالت بسرعة:

– «شت»، أنا «دينا».

– أوه... أهلا. كان صوته مدهوشًا متحفظًا، وتخيلت سبب اللهجة التي أجابها بها، فسألته:

– هل أنت وحدك؟

– كلا. وكان معنى ذلك أن «بليك» لابد من أنه في مكتبه. لم تكن «دينا» متأكدة كيف عرفت أنه «بليك» وليس شخصًا آخر، ولكنها أحست أن «بليك» بجانبه، وانفجرت في نوبة يأس قائلة:

- «شت»، يجب أن أتحدث معك... يجب أن أراك. ووجهت نظرة إلى الساعة حول معصمها ولم تعطه فرصة للرد، فاستطردت قائلة:

- هل تستطيع أن تقابلني لتناول الغداء؟ وسمعت النفس العميق الذي أخذه قبل أن يجيب.

- آسف... أخشى أنني وضعت خططًا بالفعل للغداء. وكررت قائلة:

- يجب أن أراك. هل أستطيع أن أراك في وقت لاحق؟

- لقد مضت فترة طويلة منذ أن رأيتك. ولحظت أن «شت» بدأ يدخل في روح الموضوع، ولكنها لم تكن متأكدة، وأضاف:

- لماذا لا نتقابل لتناول شراب حوالي الساعة الخامسة والنصف؟ كان عليها أن تنتظر مدّة طويلة، هكذا فكرت في يأس، ولكنها أيقنت أنه لا يستطيع أن يقابلها قبل ذلك الوقت، فقالت موافقة:

- حسنًا جدًا. ثم حددت اسم أول محل لتناول الشراب خطر على بالها، ووعد «شت» قائلاً:

- سأقابلك هناك. وقالت «دينا» في تردد:

- أرجوك يا «شت»، لا تقل لـ «بليك» أي شيء عن لقائنا. لا أريده أن يعرف، إنه لن يفهم. ومرت لحظة طويلة قبل أن يقول أخيرًا:

- لا... لن أقول... أراك في ذلك الموعد. وبعد أن وضعت «دينا» السماعة في مكانها. التفتت ورأت العامل في محطة البنزين يرمقها بدهشة لكن بشيء من القلق، وفتحت حقيبة يدها التي كانت تعلقها فوق كتفها وبدأت تدفع ثمن البنزين، وسألها:

- هل أنت بخير يا آنسة؟ ولمحت وجهها الشاحب في زجاج نافذة المحطة، وفهمت سبب سؤاله، كان شعرها أشعث غير منسق، فقد طيره الهواء، وكانت الدموع قد تركت خطوطًا على خديها، وتبدو مثل طفلة ضائعة يائسة رغم الملابس الثمينة التي ترتديها، وقالت كاذبة:

- أنا بخير. وفي السيارة أخرجت منديلاً ورقيًا من حقيبتها ومسحت البقع القاتمة من تحت عينيها، ثم سوت شعرها الذهبي حتى أصبح شبه منسق قبل أن تغطيه بالإيشارب، وأدارت المفتاح في المحرك، وانطلقت وهي تتساءل: ترى ما الذي ستفعله بقية اليوم؟

- 6 -

كانت القاعة الفاخرة مضاءة إضاءة خافتة، و «دينا» تجلس في ركن مظلم لكنها تستطيع من مكانها رؤية الغرفة كلها وباب الدخول. وعلى مائدة أمامها كان شرابها قد ذاب الثلج فيه دون أن تلمسه. نظرت إلى ساعتها، بقي على موعد حضوره خمس دقائق أخرى. ومع ذلك شعرت بأن فترة انتظارها بلا نهاية. كانت منذ ساعة تقريبًا قد اتصلت تليفونيًا بالأم «شاندلر» لتخبرها بأنها ستتأخر، ولم تذكر السبب أو المكان الذي ستذهب إليه. وفكرت في أن «بليك» سيغضب. فليكن... فليغضب... هكذا كان ردها الداخلي... ستفكر فيما بعد في عواقب مقابلتها مع «شت». واندفع ضوء الشمس الباهر داخل الغرفة عندما انفتح الباب. ونظرت «دينا» إلى أعلى وهي تحبس أنفاسها وتتمنّى أن يكون القادم في هذه المرة هو «شت». لكن نظرة سريعة إلى الرجل الطويل الذي دخل القاعة أصابت رئتيها بالشلل! وتوقف قلبها عن الخفقان ثم أسرعت دقاته في فزع. ورأت «بليك» أمامها داخل القاعة يحاول أن يكيف عينيه بالضوء الخافت، لم يكن هناك مكان تستطيع «دينا» أن تجري إليه دون أن تلفت الأنظار. وحاولت أن تنكمش حتى تكون صغيرة على أمل ألا يستطيع رؤيتها في هذا الركن المظلم من الغرفة... رأت «دينا» نظرته تتركز فيها قبل أن يسير في خطوات بطيئة نحو مائدتها. وعندما توقف بجانبها لم تستطع أن تنظر إليه كانت أسنانها مطبقة بحدة حتى أنها آلمتها، ووضعت

www.rewity.com

يديها حول الشراب الذي لم تكن قد لمسته منذ أن وضع أمامها، ورغم الغضب الذي كان يعتمل بداخلها شعرت بشيء لا مفر منه أيضًا، ولم يتكلم «بليك» وانتظر أن تبدأه «دينا» بالكلام.

– تصور أنني أقابلك هنا... إنه عالم صغير... أليس كذلك؟ قالت ذلك بنبرة من الدهشة الساخرة من غير أن ترفع نظرها عن الكأس التي أمسكتها بيديها وقال موافقًا:

– إنها مجرد مصادفة! كان في عينيها الزرقاوين بريق لامع عندما نظرت إليه أخيرًا، غرقت ملامحه في الظلام بحيث كان من المستحيل رؤية وجهه، وبدأت حيوية وجوده المثيرة تفرض نفسها عليها رغم أنها حاولت أن تتجاهلها.

– كيف عرفت أنني هنا؟ هكذا سألته وهي تعرف أن هناك ردًا واحدًا يستطيع أن يقدمه. وقدمه «بليك» إذ قال:

– أخبرني «شت».

– لماذا؟ خرجت الكلمة المتقطعة دون شعور وكأنها توجهها إلى الصديق الغائب الذي كان قد خان ثقتها.

– لأنني سألته.

– لقد وعدني ألا يخبرك. كان صوتها مختنقًا ضعيفًا، إذ أيقنت أنها ضائعة وحيدة تمامًا في حالتها المضطربة.

– هكذا استنتجت... قال «بليك» ذلك بلهجة جافة، وأشاحت «دينا» بوجهها لتتنفس وهي ترتجف، وقالت:

– لماذا اضطر إلى إخبارك؟

– إنني زوجك يا «دينا» رغم أنك تحاولين نسيان هذا، ولي الحق في أن أعرف مكانك على الأقل. كان صوته ناعمًا مثل الفولاذ المصقول، وكان مظهره هادئًا حاسمًا، ولاحظت أن يديه الكبيرتين طويتا في قبضتين إلى جانبيه مما

يدل على محاولة السيطرة على غضبه. كان يشعر بنوبة غضب عارمة لأن زوجته رتبت لتقابل رجلا آخر، وشعرت «دينا» بالخوف ولكنه كان الخوف الذي يثير الشجاعة لتتحداه، وقالت تتهمه:

– كنت في مكتب «شت» عندما اتصلت به تليفونيًا، أليس كذلك؟

– بلى، واستطعت أن أعرف من الذنب البادي على وجهه أنه كان يتكلم معك، وبعد ذلك لم أجد صعوبة في اكتشاف ما يحدث.

– ومن الذي أستطيع أن ألجأ إليه؟ كنت أحتاج إليه. ومثل سلك ملفوف انفك فجأة انحنى «بليك» ووضع يديه على الطاولة وكانت ذراعاه جامدتين، وفي ضوء الشموع الخافت بدت ملامحه أشبه بقناع محفور من الخشب لرمز وثني عنيف قاس مستبد على نحو خطير! وسألها:

– متى تتنزعين من ذهنك الصغير الأعمى هذا، أنك لن تحتاجي إليه إطلاقًا؟ كان قلبها يخفق خوفًا وتنفست في هلع وقالت:

– أنا لا أعرفك، إنك رجل غريب، وتخيفني يا «بليك».

– معنى هذا أننا نحن الاثنين خائفان لأنني أخاف من نفسي. واستقام فجأة وقال بصبر نافد:

– هيّا نخرج من هنا قبل أن أرتكب شيئًا أندم عليه! وأزاحت «دينا» الحذر بعيدًا وقالت معترضة:

– لا أريد أن أذهب معك إلى أي مكان!

– أعرف ذلك. وقبضت يده على ذراعها ليرفعها متغلبًا على مقاومتها الضعيفة، وعندما نهضت واقفة ظلت أصابعه تحيط بذراعها حتى تبقى إلى جانبه. وقال «بليك» يذكّرها بمحتويات الكأس التي لم تلمسها على المائدة:

– هل دفعتِ ثمن الشراب؟ واستطاعت أن تقول وهي ترتجف:

– لا لم أدفعه. وابتعد عنها وأخرج من جيبه مبلغًا وضعه فوق المائدة ومزق

الفاتورة، ثم أحاط خصرها بذراعه الفولاذية ليخرج معها من القاعة وهو يتجاهل نظرات الفضول. وفي صمت تام سار معها حتى السيارة البورش البيضاء. وفتح الباب ودفعها لتجلس خلف عجلة القيادة. وبعد ذلك صفق الباب واتكأ على السيارة وقد بدت الكآبة الشديدة على فمه وقال محذرًا:

– إن سيارتي ستكون ملتصقة بمؤخرة سيارتك وتتبعك أينما ذهبت. ولذلك لا تحاولي أن تنعطفي إلى أي اتجاه في الطريق. إلى البيت يا «دينا»!

وقبل أن تستطيع «دينا» أن تتلفظ بأي رد، سار نحو سيارته التي كانت واقفة في الصف التالي من مكان وقوف السيارات. وأدارت «دينا» سيارتها بحدّة وقفزت السيارة وكأنها تبدأ سباقًا. وكانت الحركة تدل على التحدي العاجز! وتحولت سيارته إلى ظل كبير وراء سيارتها طوال الطريق. كان وجودًا كريهًا لم تستطع أن تتخلص منه حتى إذا حاولت. والواقع أنها لم تحاول، وعندما أوقفت سيارتها في مدخل بيت أمه – بيتهما – خرجت «دينا» مسرعة من السيارة وهي تحرص على أن تدخل حيث تستطيع أن تستمد من سكان المنزل الآخرين شيئًا من الأمان والحماية من «بليك». وقبل أن تصل إلى الباب لحق بها «بليك» ووضع يده بشدّة على مرفقها حتى تبطئ من سيرها، وقال بصوت هامس:

– إن الحلقة الصغيرة لم تنته بعد، سوف نبحثها في وقت لاحق. وابتلعت «دينا» رغبتها في تحدّيه. كان من الأفضل أن تظل صامتة وهي قريبة من الأمان. ودخلا المنزل سويًا يخفيان حالة الحرب التي بينهما. وظهرت الأم «شاندلر» في مدخل غرفة الجلوس. وكانت ترتدي ثوبًا جذابًا أسود من الشيفون. وشعرها الفضي الجميل مصففًا لتوه على نحو أنيق. وأشرق وجهها بابتسامة عندما رأتهما ولم تلحظ التوتر بينهما. وصاحت تقول برقة:

– لقد عدتما سويًا إلى البيت... رائع! كنت على وشك أن أقترح على «ديدر» تأخير العشاء لمدة ساعة. ولكنني سعيدة جدًا إذ لم يعد ضروريًا. إنني أعرف

مدى كراهيتك للحم الذي يزيد نضجه يا «بليك».

– كنت دائمًا تحب قطعة لحمك نصف ناضجة، أليس كذلك يا «بليك»؟

هكذا قالت «دينا» معلقة، وهي تنظر إلى وجهه بعينين متألقتين، وأضافت:

– وكنت دائمًا أعتبر حبك للحم غير الناضج ميلاً بربريًا! ورد قائلاً:

– يبدو أنك كنت على حق، أليس كذلك؟ ولم يبد على الأم «شاندلر» أنها تلاحظ تبادل الألفاظ المتوترة وهي تدفعهما داخل غرفة الجلوس وتقول لتقطع الصمت الذي خيّم عليهما:

– دعونا نشرب كأسًا من الشراب، ثم تروي لي كل شيء عن أول يوم لك في العمل يا «بليك». كان تناول العشاء وتبادل الحديث الرقيق وإخفاء أي سوء تفاهم أشبه بعبء ثقيل، وزاد الأمر سوءًا بعد العشاء عندما جلس ثلاثتهم يحتسون قهوتهم في غرفة الجلوس، وكل دقة من الساعة تقرب اللحظة التي سيحدث فيها النقاش الذي هدد به «بليك»، ورن جرس التليفون، وردت عليه المشرفة على المنزل في الغرفة الأخرى، وبعد لحظات ظهرت لتقول:

– المكالمة لك يا سيد «بليك» من شخص اسمه السيد «كارل لاندستروم». ورد قائلا:

– حوّلي المكالمة إلى غرفة المكتبة يا «ديدر». وانتظرت «دينا» إلى أن سمعت باب غرفة المكتبة يُغلق، ثم قالت للأم «شاندلر»:

– إنها مكالمة تخص العمل. كان «كارل لاندستروم» رئيس قسم الحسابات، وكانت «دينا» تعرف أن أدبه الأصيل لا يسمح له بأن يتصل تليفونيًا بعد ساعات العمل إلا إذا كان الأمر مهمًا، ثم أضافت:

– من المحتمل أن تستغرق المكالمة وقتًا طويلاً. وأرادت أن تتخذ تلك الحقيقة حجة للهرب وتجنّب الكلام معه، وقالت لحماتها:

– أرجو أن تخبريه بأنني مرهقة جدًا وأويت إلى الفراش.

– بالطبع يا عزيزتي. قالت المرأة الأكبر سنًا ذلك وهي تبتسم وتتنهد في

ارتياح، ثم استطردت قائلة:

– إنه شيء جميل أن يعود إلينا، أليس كذلك؟ كان سؤالاً لا يحتاج إلى رد، ولم تقدم «دينا» أية إجابة وهي تنحني لتُقبّل خد حماتها وتقول:

– تصبحين على خير. وردت عليها الأم «شاندلر» قائلة:

– وأنت بخير. وصعدت «دينا» إلى غرفتها وخلعت ثيابها وأخذت حمّامًا سريعًا... ثم جففت نفسها ولفت المنشفة الكبيرة حول جسمها وتركت شعرها ينسدل. كانت تريد أن تكون في الفراش وتطفئ الأنوار قبل أن ينتهي «بليك» من محادثته التليفونية، وإذا كانت حسنة الحظ فإنه لن يحاول أن يزعجها، وبذلك تعرف أنها تؤجل المناقشة فقط، لكن كان هذا كافيًا في الوقت الحاضر. كان قميص نومها ملقى بنظام على السرير، وفرشاة الشعر في يدها، ولم تكن لتحتاج إلى أكثر من تمشيط سريع لأطراف شعرها، هكذا قررت وجلست على حافة السرير لتفعل هذا... ولم يلن الفراش تحتها، وبدا جامدا مثل كرسي من الخشب، وتسمرت «دينا» في مكانها بلا حركة وهي تجمع المعلومات وتدرك أن الفراش الذي طلبت شراءه لـ «بليك» قد وصل وأن فراشها قد نُقل، وقفزت من السرير وكأنها اكتشفت سريرًا من الجمر الساخن تحتها، لا... لا... هكذا صاح قلبها، لا يمكن أن تنام معه... لا يمكن بعد تلك التجربة الأخيرة المهينة... لا يمكن وغضبه الشديد يعتمل في داخله ويقترب من السطح بعد ما حدث اليوم، وانفتح الباب ودخل «بليك» وانفجر الشيء الوحيد في مقدمة ذهنها، وقالت في ذعر:

– لن أنام معك. ورفع حاجبه وقال:

– إن النوم أبعد شيء عن ذهني في الوقت الحاضر!

– لماذا أتيت إلى هنا؟ ولم تستطع أن تفكر في شيء آخر، وسار «بليك» إلى الكرسي الموضوع بجانب الحائط، وأشار إلى الكرسي المقابل وقال:

– اجلسي... لقد أتيت لأنهي مناقشتنا.

– كلا. هكذا رفضت «دينا» أن تبقى في المكان نفسه معه، رغم أنه جلس هادئًا مسترخيًا، بينما راحت هي تذرع الغرفة في قلق، وقال:

– أريد أن أعرف لماذا كنتِ تريدين مقابلة «شت»؟ كانت نظرته الخفية ترقبها مليًا مثل حيوان يرقب فريسته التي اقتنصها وهي تبدد طاقتها العصبية قبل أن يتحرك ويقتلها.

– كان اللقاء بريئًا جدًا. هكذا بدأت مدافعة عن نفسها، وفجأة غيرت تكتيكاتها وأضافت:

– الواقع أن هذا أمر لا يخصك في شيء!

– إذا كان بريئًا جدًا كما تزعمين... هكذا قال «بليك» وهو يتعمد استعمال كلماتها نفسها، ثم أضاف:

– فلماذا إذن لم تخبريني؟ وردت قائلة:

– إن الشيء الذي يبدو أنك لا تستطيع أن تفهمه أو ترفض أن تفهمه هو أنني أحتاج إلى «شت»، أحتاج إلى تهدئته وتفهمه ورقته، ومن المؤكد أنني لا أتلقى ذلك منك. ورد «بليك» بسرعة:

– إذا فتحتِ عينيكِ مرّة واحدة، فسترين أنك لا تتلقين ذلك منه أيضًا.

– صحيح! كان ردها الساخر مشوبًا بعدم التصديق، فقال:

– إن «شت» لا يهدّئ، إنه فقط ينطق الكلمات التي تريدين سماعها، وهو غير قادر على تقديم فكرة مبتكرة! وردت بصوت مشدود:

– إنني أكره أن أكون صديقة لك يا «بليك»، إذا كانت هذه هي الطريقة التي تتكلم بها عن الأصدقاء في غيابهم وتمزقهم إربًا!

– لقد عرفت «شت» قبل أن تعرفيه بفترة طويلة جدًا، إنه لا يستطيع البقاء إلا إذا كان مستمتعًا بمجد معكوس عليه من شخص آخر. عندما اختفيت نقل ولاءه إليك، لأنك كنت تمثلين القوة، إنه طفيلي متسلق يا «دينا» رغم كل سحره. واستمر «بليك» في تحليله البارد قائلاً:

– كان يعيش على قوتك. لقد أقنعك بأن تتولي مسؤولية إدارة الشركة، لأنه كان يعرف أنه لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية الإشراف على طفل. فما بالك بشركة كبرى. وتنفست «دينا» بعمق وسارت بعيدًا عنه وقالت:

– إنك لا تعرف ماذا تقول. وأمرها «بليك» قائلاً:

– عندما تشاهدينه مرّة أخرى حاولي أن تنظري إليه جيدًا يا «دينا»، وأرجو أن تكون لديك قوة الملاحظة بحيث تعرفين أنك كنت تساعدينه طوال تلك المدة، وليس هو الذي كان يساعدك. وهزت رأسها تنفي بعنف وقالت:

– كلا.قال «بليك»:

– ليتني بقيت بعيدًا شهرين آخرين. ربما سقطت النظارة الوردية من فوق عينيك عندئذٍ، واكتشفتِ إلى أي حد كان يعتمد عليكِ. وتوقفت «دينا» عن خطواتها القلقة، ووضعت يديها فوق أذنيها حتى لاتسمع الكلمات الكريهة، وقالت:

– كيف تستطيع أن تقول تلك الكلمات عنه وتظل تعتبره صديقك؟ وأجاب «بليك» بهدوء:

– إنني أعرف عيوبه وهو صديقي رغم هذه العيوب، ومع ذلك كنت ستتزوجينه دون أن تدركي أن فيه أي عيب!

– نعم... نعم كنت سأتزوجه. هكذا صاحت «دينا» وهي ترفع يديها من فوق أذنيها وتستدير لتواجهه:

– لكن عندما عدت تخلى عنك بسرعة شديدة حتى أصابك بالدوار. وجلس «بليك» بلا حركة في كرسيه، وقالت مدافعة عن «شت»:

– كان يريد سعادتي. ونفى «بليك» قائلاً:

– كلا... كانت عودتي تعني أنك ستتركين السلطة وأتولى أنا شؤون الإدارة، و «شت» يريد أن يحافظ على مركزه. لم تكن هناك أية فروسية في سبب فسخ الخطبة. لم يكن ليضحي بأي شيء، بالعكس كان يريد أن يحتفظ بكل

شيء! وقالت «دينا» متحدية:

– إذن لماذا ألححت عليه حتى يعترف بأنه سيقابلني اليوم؟

– إنني لم ألح عليه، لقد شعر بالارتياح إذ أخبرني.

– إن لديك ردًا على كل شيء. أليس كذلك؟ ورفضت أن تعترف بصدق أية كلمة قالها «بليك»، وحاولت جاهدة أن تحتفظ بشعور العداء نحوه، فدون هذا العداء كانت دون دفاع أمامه. وعبرت عن أفكارها بصوت مرتفع، وقالت شاكية:

– إن الوضع على هذه الحال منذ عدت.

– كنت أعرف عندما اكتشف الجميع عودتي إلى الحياة أنها ستكون صدمة. ولم أتصورها إلا صدمة سارة. وتنهد «بليك» بدعابة ساخرة وأضاف قائلاً:

– وفي حالتك كنت مخطئًا، كانت صدمة قبيحة ولم تفيقي منها حتى الآن! ولمست «دينا» المرارة الكائنة في نبرة صوته وأحست بالذنب. وحاولت أن تشرح الوضع فقالت:

– كيف تصورت شعوري؟ كنت سيدة نفسي وفجأة عدت أنت. وحاولت أن تبتلعني في شخصيتك...

– وكيف تريدين أن أتصرف عندما حرصتِ على أن تتحديني كل دقيقة منذ عدت؟ كان رده سريعًا. وقد أثار دفاعها عن نفسها غضبه الشديد. ولكنه لم يلبث أن سيطر على أعصابه وقال:

– يبدو أننا تعثرنا فوق قلب مشكلتنا. فلنحاول أن نجري نقاشًا متحضرًا ونجد حلاً.

– متحضرًا! قالت «دينا» هذا وضحكت بمرارة، ثم أضافت:

– إنك لا تعرف معنى الكلمة، لقد قضيت وقتًا طويلاً جدًا في الأدغال، ولست متحضرًا حتى بالطريقة التي تطارحني بها الحب! ولاح الشرر في عيني «بليك»، وابيضت العضلات فوق فكه من محاولة السيطرة على أعصابه.

– أنت تلمسين الوتر الحساس كل مرة! قال هذا وهب واقفًا في حركة قوية واحدة، وقفز قلب «دينا» إلى حلقها. كانت قد أثارت حيوانًا لا تستطيع السيطرة عليه، وخطت خطوة إلى الوراء ثم استدارت واتجهت نحو الباب، لكن «بليك» اعترض طريقها وأدارها نحوه، وأحاطها بذراعيه، وضمها بقوة إلى جسده الطويل، وسرت لمسته في جسمها وكأنها صدمة كهربائية، ولم تعد تستطيع الحركة، أو إبداء ذرة من المقاومة عندما عانقها طويلاً وبشدة وكأنه يعاقبها! وبدت بلا حياة ولا أنفاس إلا ما أعطاها من غضب. إن الغضب يحتاج إلى وقود حتى يظل مشتعلاً، ولم تعطه «دينا» أي وقود، وشيئًا فشيئًا خفف الضغط الوحشي ورفع رأسه قليلاً، وفتحت عينيها وحملقت إلى عينيه القاتمتين المتألقتين وهي تكتم أنفاسها. كانت أنفاسه الدافئة تلفح وجهها، وأخذ يتحسس بيده شعرها الذهبي ويزيحه بعيدًا عن خدها، وسألها بصوت أجش:

– لماذا تكشفين دائمًا عن الشيء السيئ فيَّ؟ وهمست «دينا» قائلة:

– لأنني لن أدعك تسيطر عليَّ بالطريقة التي تسيطر بها على أي شخص آخر. وشعرت برجفة جسمه القوي وأحست بالرجفة نفسها في جسمها، وقبّل طرف شعرها ثم قال:

– هل تشعرين بشعور القوة عندما تعرفين أنني أفقد السيطرة على أعصابي معك؟ وعانقها مرة أخرى وقال:

– إنك الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يجعلني أنسى العقل!

– صحيح. هكذا قالت «دينا» وقد بدا الشك في صوتها؛ لأنه بدا مسيطرًا تمامًا على أعصابه في تلك اللحظة، وهي التي كادت تفقد عقلها!

– كان لدي وقت طويل للتفكير وأنا أحاول أن أشق طريقي وأخرج من جحيم الغابة، وكنت دائمًا أتذكر مشاجراتنا العنيفة التي تبدأ من أشياء تافهة، وقلت لنفسي إذا نجحت وعدت فإن هذه المشاجرات ستكون شيئًا

من الماضي، ومع ذلك بعد أن رأيتك بساعات قليلة فقط بدأ كل منا يمسك بتلابيب الآخر!

– نعم... وأومأت «دينا» برأسها، وكأنها تعتقد أن حركتها محاولة لتهرب منه، لكن «بليك» أمسك ذقنها حتى يظل رأسها في مكانه، وأطبق عليها ببطء... كانت مشاعرها أشبه بشعلة تتوهج وتزداد حرارة شيئًا فشيئًا، وذابت «دينا» أمام حرارتها، وسمعت دقات قلبها تدوي في أذنيها بينما بدأ وهج الشعلة يسري في جسمها، وقبل أن تستسلم تمامًا لرغبتها حاولت أن تتخلص من قبضته. كانت تعرف ماذا يريد هو وماذا تريد هي، لكن كان لابد من أن تنكر ذلك، وقالت:

– كلا يا «بليك»، لن تفلح محاولاتك بعد المرّة الأخيرة! وكرر كلماتها:

– المرّة الأخيرة! وابتعد قليلاً، وارتجفت بضعف، ولم تجد القوة لتبتعد عنه، ومضى «بليك» يقول:

– كنت أكرهك، لأنك خطبتِ لـ «شت»، معتقدة أنني مت، وأكره نفسي؛ لأنني لم أستطع أن أتركك بعد أن طلبت مني أن أبتعد،لكن هذه المرّة مختلفة.

– كلا... لا أستطيع. ومع ذلك أحست بالسعادة من لمسة يديه، ولم تعتقد «دينا» أن «بليك» سيبدي أي اهتمام بمعارضتها، ولم تكن متأكدة أنها هي نفسها تريد أن يهتم بتلك المعارضة، ثم شعرت بتوتر عضلاته عندما وقف بلا حراك، واستمر يضمها وكأنه يفكر، هل يستسلم لرغبتها ويتركها أم يتغلب على مقاومتها؟ وكان من السهل جدًا أن يفعل هذا في حالتها المترددة الراهنة! وبعد ثانية كان يبعدها عنه ويخلص نفسه من إغرائها، وقال في تجهم:

– إذا كان هذا هو ما تريدينه فإنني سأنتظر.

– أنا... أنا... لم يكن هذا هو ما تريده، كادت «دينا» تقول ذلك ولكنها منعت نفسها، وقالت:

www.rewity.com

– إنني أحتاج إلى وقت.

– لك كل ما تريدين من وقت. هكذا وافق «بليك» وهو يبدو هادئًا تمامًا وكأنه وضع قناعًا يخفي مشاعره، ثم قال:

– فقط لا تجعليني أنتظر طويلاً قبل أن تصلي إلى قرار.

– لا. لم تكن «دينا» واثقة بالقرار الذي ستتخذه، ولا بما تريد أن تختاره! وضمت المنشفة الكبيرة حول جسمها حتى تخفي عن «بليك» جسمها وابتعد عنها وهو يعبث بأصابعه في شعره الغزير الداكن. وقال وقد بدا عليه الضيق:

– اذهبي إلى الفراش يا «دينا»، لأنني أريد أن أجري بعض المكالمات التليفونية. وتحولت نظرتها إلى السرير والغطاء الذي يخفي الفراش الصلب، وقالت:

– إن الفراش الذي طلبت من «ديدر» إحضاره لك وصل اليوم وقد وضعته هنا، أنا... أنا سوف أنام في غرفة الضيوف. ورمقها «بليك» بنظرة ازدراء وقال:

– كلا، سوف تنامين معي. ولم تبد «دينا» الاعتراض البديهي بالنسبة إلى هذا الطلب، ولكنها قالت فقط:

– إن النوم على ذلك السرير أشبه بالنوم فوق حجر! ومط فمه بسخرية ماكرة وقال:

– إذا استعملنا جملة قديمة يا «دينا» فإنني أقول إنك صنعت سريرك ويجب أن ترقدي فيه الآن! قالت وهي ترفع ذقنها في عناد:

– لن أفعل! ورمقها بنظرة طويلة لم تستطع أن تصمد أمامها، وقال:

– هل أطلب الكثير عندما أقول إنني أريد من زوجتي أن تنام إلى جواري؟ وأشاحت برأسها وأغمضت عينيها لتتمتم بهدوء:

– لا، ليس هذا بالكثير! وكان الصوت التالي الذي سمعته هو صوت فتح الباب، والتفتت عندما غادر «بليك» الغرفة، وحملقت إلى الباب المغلق الذي حبسها في الداخل وتساءلت: ترى هل أخطأت عندما رضخت لرغبته؟

وسارت نحو السرير وضغطت بيدها فوق الفراش لتختبر مدى صلابته. كان لا يلين قط تحت ثقلها. سيكون مختلفًا تمامًا عن الفراش اللين الذي تعودت أن تنام فوقه. لكن رفيق فراشها كان رجلا مختلفًا تمامًا عن الرجل المتحضر الذي تزوجته. وتساءلت «دينا»: ترى أيهما ستعتاده أولاً.. السرير الصلب أم الرجل الصلب؟ وارتدت قميص نومها وزحفت تحت الأغطية. وعبثًا حاولت أن تصوغ الفراش الجامد حسب جسمها. وكان لابد من أن تحاول أن تكيف نفسها مع صلابته. ولكنها لم تنجح. ولم تستطع النوم بالطبع وهي تتقلب وتغير أوضاعها فوق السطح الجامد تحاول أن تجد وضعًا مريحًا. وبعد حوالي ساعتين كانت مستيقظة. ولكنها أغمضت عينيها لتتظاهر بالنوم عندما سمعت «بليك» يفتح الباب. كان من الصعب عليها أن تنظم تنفسها وهي تنصت إلى ترتيباته الهادئة. وبقيت دون حركة في نهاية السرير عندما صعد ورقد إلى جانبها دون أن يلمسها! ولكنه كان قريبًا على نحو يجعلها تشعر بحرارة جسمه. وتقلّب «بليك» عدّة مرات قبل أن يستقر على وضع. وبعد دقائق قليلة سمعته يتنفس بعمق وقد استغرق في النوم. وتنهدت وهي تتخيل ساعات طويلة قبل أن تستغرق مثله في النوم!

- 7 -

كانت يده تربت برقة أعلى ذراعها، ولمساته مهدئة على نحو يبعث السعادة، ثم أطبق أصابعه حول ذراعها وهزها بلطف وقال آمرًا:

– هيّا يا «دينا» استيقظي. وانطلقت أنة من حلقها وهي تتكور أكثر في وسادتها، ولكنها لم تكن وسادة. كان هناك نبض منتظم تحت رأسها، كلا... لم تكن وسادة. إنها راقدة بين ذراعي «بليك» وقد استقر رأسها على

صدره، واستطاعت أن تشعر بشعر جسمه المجعد يدغدغ خدها وأنفها. في وقت من الليل كانت قد تركت صلابة الفراش لتتكور قريبًا من صلابة جسمه الدافئ، واتسعت عيناها دهشة من الألفة التي نتجت من النوم. حاولت «دينا» أن تبتعد عنه، لكن ذراعه حولها شدَّد من قبضتها لتظل في مكانها لحظات قليلة أخرى، ورفع ذقنها بأصبع خشن حتى تنظر إليه، وخفق قلبها من الدفء الكسول في الوجه الخشن، وتمتم «بليك» قائلاً:

– كنت قد نسيت طعم النوم مع أخطبوط.. عندما تمتد الأذرع والأرجل في كل مكان. وشعرت «دينا» بحرارة من وضعها الغريب من «بليك». كان النوم قد خدر ردود فعلها، وعندما لمس بإبهامه شفتيها وتابع حدودهما كانت «دينا» بطيئة جدًا وهي تحاول إبعاده، وعندما أحست بلمس أصبعه لأول مرّة فقدت الرغبة في الهروب منه، وأخذ أصبعه بجلده الخشن يستكشف كل ثنية من فمها، وأصبح من الصعب عليها جدًا أن تتنفس وخاصة عندما كانت نظرته تستوعب كل حركة من حركاتها باهتمام يثير الاضطراب، كانت «دينا» وهي في مكانها تضع إحدى يديها على عضلات صدره الصلب وتخشى من أن تتحرك، وشعرت وسمعت سرعة خفقان قلبه، ولم تكن دقات قلبها أبطأ، وضمها إليه بقوة وتدفق الدم في قلبها. التهبت حواسها وجعلتها تستجيب لعناقه، وملأت رائحته الدافئة كل حواسها وخدرت ذهنها، وعندما ابتعد عنها وضعت يدها حول عنقه لتعيده، وبدت السعادة في بريق عينيه الداكنتين لأنه استطاع أخيرًا أن يثيرها، وأخذ ينظر إلى جسمها في قميص النوم القصير... وأمام نظرته المفعمة بالرغبة السافرة فقدت «دينا» أعصابها لدرجة أنها لم تستطع أن تسمح له بأن يظل يحملق إليها. مرّة أخرى انتابها الشعور بأن عيني رجل غريب تنظران إليها لا عيني زوجها! وأطلقت «دينا» شهقة وحاولت أن تبتعد عنه، لكن «بليك» أحبط محاولاتها وأرغمها على البقاء حيث كانت راقدة فوق الفراش الصلب الذي

كان قد أحدث كدمات في عضلاتها وعظامها؛ وقال «بليك» في صوت أجش مفعم بالرغبة:

– كلا يا «دينا»... إنني أريد أن أنظر إليك، لقد تصورتك هكذا عدّة مرات... لا تلوميني إذا أردت أن أتذوق متعة هذه اللحظة... في هذه المرة لن تبعد صورتك صرخة طائر في الأدغال، إنك لي يا «دينا» لي أنا. وضغط على الكلمات الأخيرة بشدّة بينما انحنى رأسه وتغلبت العاطفة المتأججة على محاولتها القصيرة في المقاومة، ونسيت «دينا» غرابة ذراعيه، وصلابة الفراش الذي كان مثل الصخرة تحتها، نسيت كل شيء إلا أنها بين ذراعيه، واستكانت «دينا» ووضعت رأسها على صدره وأغمضت عينيها، وأدركت أنها اقتربت جدًا من اكتشاف حبها لـ «بليك» ثانية، وكان نور الحب يتألق في الأعماق البعيدة من قلبها، وانتقل «بليك» إلى شعرها... وتمتم قائلاً:

– كنت قد نسيت كم أنت فتاة مثيرة صغيرة. وفجأة هبطت كلماته بالعاطفة إلى مستوى حسي، فجأة أصبح الحب رغبة... وأضاف:

– لقد استمتعت... عفوًا... لقد استمتعت بك. وعاد النور يضيء قلبها! واحمر وجه «دينا» وتخلصت من ذراعيه ولم يحاول أن يمنعها، وأثارت الحركة أنة ألم في الحال. كانت كل عظمة وكل جزء في جسمها يؤلمها ويذكرها بالليلة التي قضتها في السرير الصلب مثل الصخر! وأرادت «دينا» أن تغير الموضوع فسألته:

– كيف تحتمل النوم على هذا السرير؟ إنه فظيع.

– سوف تعتادين النوم عليه. وعندما تكلم «بليك» أدركت «دينا» أنه قد قفز من السرير دون صوت، بينما كانت تستكشف أوجاعها وآلامها، والتفتت إليه وهو يرتدي بنطلون بيجامته الحريرية، وعندما شعر «بليك» بعينيها ترقبانه التفت وقال:

– إنني أرتدي البيجاما هذا الصباح من أجل «ديدر» وخجلها! وابتسمت

«دينا» وسألته:

– كم الساعة الآن؟ أجاب وهو يحك الشعر الذي نبت في ذقنه:

– الساعة السابعة.

– لقد تأخرنا. ونسيت آلامها للحظة وبدأت تنهض وقد استولت عليها فكرة واحدة، وهي أنها ستتأخر في الذهاب إلى المكتب إلا إذا أسرعت ثم تذكرت أنه لم يعد هناك أي سبب لتذهب إلى المكتب. وغاصت في السرير ثانية وقد اجتاحها القلق والاضطراب. وسألت نفسها بصوت مرتفع:

– لماذا أستيقظ؟ لقد استغرقت وقتًا طويلاً جدًا حتى نمت الليلة الماضية. لماذا لم تتركني أنام؟ لو أنه تركها لما مرت بكل هذا الارتباك والشكوك حوله وحول نفسها. ورد «بليك» بثبات:

– ستتأخرين عن العمل. وغطت المرارة لسانها وقالت:

– هل نسيت؟ لقد اعتزلت العمل. إنني ربة بيت الآن وسيدة فراغ! ورمقها بنظرة حادة وقال:

– صحيح؟ إن رئيسك لا يعتقد هذا؟ وقالت «دينا» بضحكة ساخرة:

– أي رئيس؟ أنت؟ إنك زوجي فقط.

– هل معنى هذا أنك ترفضين العرض؟

– ماذا؟ هل لك أن تتوقف عن الكلام بالألغاز؟

– لو لم تكوني متغطرسة وعنيدة صباح أمس وحضرت الاجتماع الذي طلبت منك حضوره لعرفت ماذا أعني. وضغطت بيدها على جبينها وقد شعرت بالتوتر والأرق ينبضان بين عينيها. ثم قالت:

– إنني لم أحضر الاجتماع... ربما تستطيع أن تشرح لي. وشرح قائلاً:

– إننا نبدأ حملة جديدة كاملة لتحسين صورة سلسلة فنادق «شاندلر»، ولانستطيع إطلاقًا أن نتنافس مع الشركات الأكبر على أساس واسع النطاق خاصة أن معظم فنادقنا توجد في مناطق الاستراحات التي تزدحم بالسكان.

وسوف نستغل تلك الحقيقة لصالحنا. ومن الآن فصاعدًا عندما يفكر الناس في فنادق للاستراحة ستكون هذه مرادفة لفنادق «شاندلر». وقالت «دينا» معترفة:

– إنها فكرة سليمة. لكن ما شأن هذا بي؟

– سوف تكونين مسؤولة عن الحملة.

– ماذا؟ ونهضت واقفة بعد إعلان «بليك» الهادئ وقد بدا الشك وعدم التصديق في النظرة التي وجهتها إليه. وأضافت:

– هل هذه دعابة قاسية؟ وقوّس حاجبًا داكنًا بغطرسة. واقترب من السرير حيث وقفت وقال:

– أبدًا. لقد قدمت الاقتراح إلى بقية المسؤولين أمس مع توصيتي بأن تتولي أنت إدارة الحملة. كانت تريد أن يكون هناك دافع آخر وراء العرض. قد يعني الاعتراف بشيء آخر.

– إنني أعترف أن اختياري لك بأن تقودي الحملة كان بتأثير نوبة الغضب التي انتابتك في المكتب صباح أمس. عندما اكتشفت أنني سأتولى رئاسة الشركة. كانت نظرته ثابتة لا يبدو عليها شيء من الذنب، وأضاف:

– لكن تستطيعين أن تتأكدي يا «دينا» أنني ما كنت لأقترح اسمك للآخرين لو لم أعتقد أن بوسعك القيام بالمهمة. وتستطيعين أن تضعي أي تفسير تريدينه لذلك! وصدقته «دينا». كان إخلاصه واضحًا صريحًا لا يثير أي شك وخاصة عندما اعترف بالجدال الذي حدث بينهما قبل ذلك. وأدهشها أنه لان إلى هذا الحد وجعلها مسؤولة عن شيء يمكن أن يكون مهمًا جدًا للشركة. صحيح أنها ستكون موظفة عنده. ولكنها ستستطيع أيضًا أن تتخذ قراراتها بنفسها. وسألته وهي تقطب جبينها:

– لماذا لم تخبرني بذلك في الليلة الماضية؟ كنت قد اتخذت قرارك بالفعل. وقلت منذ لحظة أنك أخبرت الموظفين أمس... لماذا انتظرت حتى الآن

www.rewity.com

لتخبرني؟ وتفرس «بليك» في وجهها مليًا وقال:

– كنت سأخبرك في الليلة الماضية بعد أن انتهينا من حديثنا، لكن الظروف جعلتني أغير رأيي وقررت أن أنتظر. وسألت «دينا» في إصرار وهي لا تتابع منطقه:

– أية ظروف؟

– بصراحة كنت أعتقد أنك لو عرفت في الليلة الماضية فإنك قد تقبلين أن أطارحك الحب لمجرد الشكر والامتنان. هكذا رد «بليك» دون أن تبدو ذرة انفعال على وجهه الجامد، وبدا الشرر في عينيها وقالت في غضب:

– كنت تعتقد أنني سأكون شاكرة لدرجة...

– كان هذا احتمالا. وأعمى الغضب بصر «دينا» لدرجة أنها لم تستطع الرؤية جيدًا، لكن هذا لم يؤثر في غرضها، إذ صفعت خده الصلب بكفها المفتوح! ودخل «بليك» الحمّام بينما تحولت العلامة البيضاء إلى لون قرمزي، وراقبته «دينا» وهي ترتجف من حدّة غضبها! وعندما تبدد غضبها بقي سؤال يلح عليها، وهو... لو أنه لم يبد هذه الملاحظة المهينة. هل كانت ستظل غاضبة منه؟ أم أن هذه كانت ستعتبر أول خطوة نحو وضع أساس لزواجهما من جديد بعد أن اعترف «بليك» بأن لديها الموهبة والقدرة لتكون أكثر من مجرد ربة بيت بسيطة؟ ولم تستطع أن تصل إلى جواب، وحول مائدة الإفطار، كان حديثهما مؤدبًا باردًا.

– أرجو أن تعطيني العصير.

– هل تسمح لي بالمربى؟ لقد زالت حالة العاطفة المشوبة بالخجل التي كانا قد استيقظا عليها ذلك الصباح، حطمها شك كل منهما في الآخر، وعندما انتهيا من تناول الإفطار وضع «بليك» فنجانه على المائدة وقال:

– تستطيعين أن تركبي السيارة معي إلى المكتب هذا الصباح.

– إنني أفضل أن أركب سيارتي الخاصة.

– إن ركوب كل واحد سيارته الخاصة شيء غير عملي.

– إذا اضطررت إلى أن تتأخر في المكتب فلن أجد سيارة أعود بها إلى البيت.

– إذا حدث ذلك يمكن أن تأخذي السيارة، وأستطيع أنا أن أعود بسيارة أجرة. هكذا قال، وكان وجهه باردًا متغطرسًا، وأيقنت «دينا» أن «بليك» سيجد ردًا لكل حجة تقدمها، فاستسلمت أخيرًا وقالت بقلة ذوق:

– حسنًا جدًا، سوف أركب معك! كان ازدحام مرور الصباح في «نيوبورت» يبدو أشد من المعتاد... والمسافة إلى المكتب أكبر، والوقت يمر أبطأ، والجو الجليدي بين الاثنين أبرد، وتبعت «دينا» «بليك» من مكان وقوف السيارات حتى مكتبه وهي تشعر بأنها كلبة صغيرة مربوطة بحبل، وهناك جلست واستمعت باهتمام إلى اقتراحات معينة كان «بليك» والموظفون قد قدموها بشأن الحملة. كانت خطة بعيدة المدى تعمل على تجديد ديكور بعض الفنادق حتى تتناسب مع صورتها الجديدة كاستراحة، وعند تلك النقطة لم تستطع «دينا» إلا أن تعلق بطريقة عابرة:

– يدهشني أن عملي لم يقتصر على تلك المهمة، فالديكور من أعمال المرأة، أليس كذلك؟ ورمقها «بليك» بنظرة باردة اخترقتها مثل سكين باردة، وقال:

– هل تريدين مناقشة هذا البرنامج بتعقل أم تريدين أن تدخلي فيه مشاكلنا الشخصية؟ لأنه إذا كان الأمر كذلك، فإنني سأجد شخصًا آخر يقوم بالعمل!

وأرادت كبرياؤها أن تخبره بأن يجد ذلك الشخص، لكن الحكمة أوحت إليها بأنها ستكون الخاسرة في النهاية إذا فعلت ذلك. كان المشروع يبدو تحديًا و «دينا» تشعر بالمتعة بذلك، واستطاعت أن تتغاضى عن كبريائها وقالت وهي تهز كتفيها:

– آسفة، لقد أفلتت مني هذه الملاحظة، استمر. ومرت لحظة صمت وقيّم

«بليك» كلماتها قبل أن يستمر. وعندما انتهى أعطاها نسخة من الملاحظات عن اجتماع الموظفين وميزانية احتياطية. وألقت «دينا» نظرة إليها ثم سألته:

– وأين سأعمل؟

– سوف أصطحبك إلى مكتبك الجديد. وتبعته وهو يخرج من المكتب، ثم سارت في الردهة الطويلة حتى وصلا إلى نهايتها، وفتح «بليك» الباب الأخير وقال:

– ها هو. كان المكتب المعدني والكرسي والرفوف تكاد تملأ الغرفة. إن ثلاث غرف من هذا الحجم يمكن أن توضع في غرفة «بليك». هكذا أدركت «دينا» ولم يكن هذا كل شيء. كانت الغرفة مقتطعة من الغرف الأخرى للموظفين وفي نهاية الردهة، ومعزولة. ويمكن أن تموت فيها ولا يحس أحد بها. هكذا فكرت. ولمح «بليك» الشرر يتطاير من عينيها الزرقاوين وقال مفسرًا:

– هذه هي الغرفة الوحيدة التي أمكن إعدادها في وقت قصير. وردت في تجهم:

– صحيح؟ ورد بتحدٍ:

– نعم. إلا إذا فكرت في أنه يتعين عليّ أن أنقل أحد كبار المسؤولين من غرفته أو غرفتها لأعطيك إياها. كانت «دينا» تعرف أن هذا وضع غير منطقي ويثير الفوضى بنقل الملفات، وقد يظل مكانها الجديد غير معروف لعدّة أيام، ومع ذلك شعرت بالضيق من حجم مكتبها الجديد وموقعه. بصرف النظر عن مدى قبولها لهذا الاختيار العملي. لم تكن تحتاج إلى الشكوى مادام أن «بليك» عرف شعورها، ونظرت إلى سطح المكتب الخالي وقالت:

– لا يوجد تليفون.

– إن الترتيبات تعد لتركيب جهاز تليفون اليوم.

– رائع. قالت ذلك وهي تدخل الغرفة وتعرف أن «بليك» مازال واقفًا في

مدخل الباب، وقال بنبرة باردة:

– إذا كان لديك أية أسئلة... وقاطعته «دينا» قائلة:

– أشك في أنني سأسأل. كانت نيران غضبها تبرق في زرقة عينيها الصافية، وضاقت نظرته وتصلب وجهه وقال:

– يمكن أن أستبدلك يا «دينا»! وردت بصوت أشبه بمواء القطة:

– على نحو دائم؟ وتصورت لحظة أنه قد يتصرف معها بعنف. ولكنه بدلا من ذلك سيطر على أعصابه واستدار لينصرف، وشعرت بقلبها يتمزق وهو يخرج، وتساءلت «دينا»... ترى هل هي تعاديه عن عمد أم أنها ترد فقط على محاولة السيطرة عليها؟ وأزاحت جانبًا السؤال الذي لم يجد جوابًا وبدأت تعمل، فأخذت مذكرة بالأشياء الموجودة وحسبت الأشياء التي تحتاج إليها، وبعد أن حصلت على البنود المطلوبة من غرفة المعدات، بدأت تعد قائمة معلومات ستحتاج إليها قبل وضع خطة عمل للحملة الإعلانية. وعندما سمعت صوت وقع أقدام تقترب من نهاية الردهة رفعت عينيها عن القائمة المتزايدة. كانت قد تركت باب مكتبها مفتوحًا لتخفف من شعورها بالخوف من العزلة في غرفتها، وراقبت مدخل الباب وقد انتابها شيء من الفضول... ترى من القادم ولأي سبب؟ وظهر «شت» ووقف في مدخل الباب وقد بدا بريق في عينيه الزرقاوين الرماديتين، ووضع إحدى ذراعيه خلف ظهره وابتسم قائلاً:

– مرحبًا! وسألته «دينا» وهي تمط شفتيها ساخرة:

– هل ضللت الطريق أم أنك تزور الأحياء الفقيرة؟ وقهقه ضاحكًا ثم قال:

– لقد بدأت أفكر في أنه لابد من أن أقف وأسأل عن الطريق قبل أن أجدك!

– من المؤكد أنني لن أنزعج من أشخاص يتوقفون ويثرثرون معي وهم في طريقهم إلى مكان آخر، إن هذا هو نهاية الخط. قالت ذلك وهي تنظر حولها

في الغرفة الصغيرة بنظرة ساخرة، ثم أضافت:

– وهذا يدفعني إلى السؤال البديهي التالي. ورد «شت» بدلاً منها فقال:

– وهو: ماذا أفعل هنا؟ الواقع عندما سمعت أنك نفيت إلى أقصى طرف من المبنى قلت ربما تحبين فنجانًا من القهوة الساخنة. وتحركت الذراع التي كانت خلف ظهره إلى الأمام لتكشف عن فنجاني القهوة اللذين أمسك بهما بيد واحدة، وأضاف:

– على الأقل أرجو أن تكون ساخنة، فبعد كل تلك المسافة الطويلة قد تكون باردة.

– ساخنة أو فاترة، إنها رائعة. وابتعدت «دينا» عن المكتب لتتكئ في استرخاء على ظهر كرسيها الصلب، وأضافت:

– سوف أحبك إلى الأبد لأنك فكرت في هذا! كانت قد ألقت بالملاحظة دون أن تفكر فيما تقوله، ولكنها تذكرت عندما لمحت نظرة استياء على وجه «شت» وأحنى رأسه وهو يدخل الغرفة حتى لايلتقي بنظرتها، وقال:

– أعتقد أن هذا يؤدي بي إلى السبب الثاني الذي حضرت من أجله إلى هنا.

– تقصد بالنسبة إلى عدم مقابلتي أمس وإرسال «بليك» بدلا منك؟

– نعم. ووضع «شت» الفنجانين فوق المكتب واستطرد قائلاً:

– آسف لما حدث، أعرف أنك لم تريديني إخبار «بليك» ولم أكن لأخبره، لكنه كان في مكتبي عندما اتصلت بي، وقد عرف مع من كنت أتحدث.

– هكذا قال... تمتمت «دينا»، ولم تكن تريد في الواقع أن تتحدث في الموضوع نظرًا للنقاش الذي دار بينها وبين «بليك» الليلة الماضية حول «شت».

– «بليك» لم يفرض شروطًا ولم يمنعني من الذهاب أو أي شيء. وتنفست في شك وقالت:

– لم يفعل؟ وقال «شت» مفسرًا:

– لا، سألني عما إذا كان صوتك مضطربًا، وعندما قلت نعم اعترف أنكما واجهتما بعض الخلافات، واعتقد أنه من الأفضل ألا أتدخل، فلم يكن يريدني أن أكون في وضع يفرض عليَّ أن أقف إلى جانب طرف واحد؛ لأنني صديق للطرفين. صديق! هكذا فكرت «دينا». منذ أيام قليلة فقط كان «شت» خطيبها وليس صديقها... ولكنه بدا شديد الأسف؛ لأنه خذلها أمس بحيث لم تستطع أن تضع مزيدًا من الذنب فوق رأسه المنحني! وبدلاً من ذلك منحته مخرجًا سهلاً إذ قالت:

– كان «بليك» على حق، فليس من العدل أن نضعك وسط خلافاتنا، وكان بوسعي أن أدرك هذا لولا أنني كنت مضطربة جدًا... على كل حال لا يهم الآن. وهزت كتفيها واستطردت قائلة:

– لقد سارت الأمور إلى الأفضل. كانت هذه كذبة بيضاء، إذ كانت الأمور تسير إلى الأفضل حتى حدثت المشاجرة بينهما ذلك الصباح، وابتسم «شت» بارتياح وقال:

– كنت أعرف أن هذا سيحدث، كما أنني لم أندهش عندما سمعت «بليك» يعترف أنكما بدأتما بداية عنيفة. وسألته:

– لماذا تقول ذلك؟

– كان كل واحد منكما يختبر الآخر ليعرف أيكما الأقوى، ويبدو أنك لاتزالين الأقوى!

– أينا الأقوى في رأيك؟ هكذا سألته «دينا»، وضحك ضحكة مصحوبةبهزة غامضة من رأسه، وقال:

– أوه... لا أعرف... ولائي لجنسي يجعلني أقول إنه «بليك»، لكنني أخشى من أن أكون قد أنقصت من قدرك. وأدركت «دينا» أن «شت» لم يكن متحيزًا لأي طرف بتعبير آخر. كان سينتظر حتى يظهر الفائز بوضوح، أما في الوقت الحاضر فإنه يحاول أن يتقرب لكل منهما، وحين خطرت

الفكرة الأخيرة على بالها. عرفت «دينا» أنها تأثرت بتعليق «بليك» وقوله إن «شت» يقف دائمًا إلى جانب الشخص القوي، ولكنها صرفت الفكرة في الحال واعتبرتها حقيرة لا يستحقها شخص في وفاء «شت»، ورمقت فنجان القهوة ثم قالت:

– ولدت دبلوماسيًا يا «شت»، لا عجب أنك سند كبير لهذه الشركة. وقال في تواضع:

– هكذا أحاول أن أكون... ثم لمس فنجانه بفنجانها وقال:

– فلنشرب نخب الحملة الجديدة! لم تكن القهوة ساخنة تمامًا، أخذت «دينا» رشفة كبيرة منها، وعندما سمعت «شت» يذكر المشروع الجديد نظرت إلى المذكرات والأوراق واللوائح المفرودة فوق مكتبها.

– سيكون مشروعًا ضخمًا. قالت هذا وأخذت نفسًا عميقًا مدركة ضخامة التغيير في صورة سلسلة فنادق «شاندلر»، وأضافت:

– ولكنني أشعر بأنها فكرة سليمة وسوف تكون ناجحة جدًا.

– وهذا هو السبب الثالث لكوني هنا! وبدت الدهشة على وجهها، واستدارت عيناها الزرقاوان وبرقتا بالتساؤل: ترى هل أغضبت «بليك» لدرجة أنه قرر إبعادها عن الحملة؟ لماذا لم تمسك لسانها؟ هكذا فكرت، وشعرت بالغضب من الطريقة التي ظلت تثيره بها، وقال «شت»:

– إن «بليك» يريدني أن أعمل معك في المشروع الجديد.لكن شعورها بالارتياح لأن «بليك» لم يبعدها لم يدم طويلا، وقالت:

– ألا يعتقد أنني قادرة على القيام به وحدي؟ وبدا عليها الغضب من ذلك الشك في قدرتها، وقال «شت» وهو يهدئها:

– لو لم يكن واثقًا بقدرتك لما كنت هنا، لكن أنت نفسك اعترفت بأنه سيكون مشروعًا ضخمًا، وسوف تحتاجين إلى بعض المساعدة، وقد اختارني لأساعدك، هذا إلى جانب أن «بليك» يعرف أننا عملنا معًا في أثناء غيابه وقمنا

بعملنا على أكمل وجه. وسكتت «دينا» قليلا وأرغمت نفسها على فهم منطق كلام «شت»، ولكنها لم تكن متأكدة أن الفكرة راقت لها. كان هناك احتمال بأن «بليك» قد عين «شت» ليكون كلب الحراسة لها، وأن «شت» سوف يذهب جريًا إلى «بليك» في اللحظة التي ترتكب فيها خطأ! لم تكن تشك فقط في دوافع «بليك» ولكنها كانت تشك أيضًا في شخصية «شت»، وفكرت... لعنة الله على «بليك» إذ جعلها تشك في «شت»! وأخذ «شت» رشفة كبيرة من قهوته، ثم وضع الفنجان جانبًا وقال:

– أين سنبدأ؟ وأعادت «دينا» اهتمامها إلى المشروع وقالت:

– كنت أعد بعض القوائم! وراجعت القوائم مع «شت» وتناقشت معه في نقاط مختلفة، ورغم أن «دينا» كانت تشك في أغراض «بليك» بالنسبة إلى مساعدة «شت» لها، إلا أنها قبلت الوضع كما هو حتى تستطيع أن تثبت العكس. وبعد ساعة غادر «شت» مكتبها الصغير ومعه قائمة ضخمة أعدها بنفسه لينفذها، وقضت «دينا» الجزء الأكبر من اليوم في تنظيم المشروع، ولم تكن المهمة في حد ذاتها سهلة وعند الساعة الخامسة كانت تراجع القائمة الرئيسية ثانية، وتكتب ملاحظتها في الهامش عندما تخطر أفكار جديد على ذهنها.

– هل أنت مستعدة؟ هكذا انطلق صوت «بليك» من مدخل الباب المفتوح. ورفعت رأسها عندما سمعت الصوت، وشوشت عدستا نظارتها صورته فرأت ملامح وجهه الخشنة ناعمة، وكادت «دينا» تبتسم ابتسامة ترحيب، لكن حدّة سؤاله الآمر دوت في ذهنها، وأفاقت من الشعور القصير بالسعادة، ومرة أخرى أحنت «دينا» رأسها فوق الأوراق، وعدلت نظارتها فوق أنفها وقالت:

– سأكون مستعدة بعد دقائق قليلة. ودخل «بليك» وكان ضيقه بالانتظار يشحن الجو بالتوتر، وجلس أمام مكتبها، وأحست «دينا» بأنه يتفحصها

ويتفحص عملها، وقال:

– منذ متى تضعين نظارة طبية؟ وتذكرت أنه لم يكن قد رآها تضع النظارة، وقالت:

– بدأت أضعها منذ حوالي عام.

– هل تحتاجين إليها؟ وردت بسرعة:

– يا له من سؤال مضحك! بالطبع أحتاج إليها. وقال «بليك» معارضًا بتهكم جاف:

– إنه ليس مضحكًا جدًا، إن النظارة تعطيك مظهر المرأة العاملة الحاسمة التي أدارت ظهرها لواجباتها العائلية. كان تعليقًا مثيرًا، وفضلت «دينا» الاتساق للإثارة وقالت:

– كان يتعين عليَّ أن أقوم بقدر كبير من القراءة حتى أحدث هذا توترًا في عيني، وبعد أن أصبت بصداع عدّة مرات نحيت غروري جانبًا وبدأت أستعمل نظارة عندما أقرأ، وهي لا صلة لها بصورتي! كانت تكذب، لأن إطار النظارة كان يوحي بأنها اختارته وهي تفكر في صورتها! وغاظها ببرود قائلاً:

– إذن تعترفين أن لك صورة! ولم تعد تستطيع التركيز في العمل الذي أمامها... كان كل اهتمامها موجهًا إلى هذه المعركة الكلامية معه، وخلعت نظارتها ودستها في كيسها الجلدي، ووضعت المذكرات جانبًا ونظفت سطح المكتب، وعندما نهضت لتأخذ معطفها قال «بليك» بصوت هادئ على نحو خطير:

– لم تردي على سؤالي!

– لم أدرك أن تعليقك كان سؤالاً! وأخذت كيس نقودها من الدرج الأسفل للمكتب، دون أن تدري أنها أغلقته بعنف لتنفس عن بعض الغضب الذي حبسته.

– هل ترين نفسك بهذه الصورة يا «دينا»، امرأة عاملة تدور حياتها حول عملها ولا يتسع وقتها لزوج؟ في هذه المرّة وضع «بليك» كلامه في صيغة سؤال. كانت الغرفة صغيرة جدًا بحيث إنه سد طريقها عندما وقف، وواجهته وقد بدأت أعصابها ترتجف من قربه، وقالت:

– هذا غير صحيح.

– لا؟ ورفع حاجبه في تحدٍّ وعدم تصديق، وسخرت منه بثقة نفس وتحدٍّ وقالت:

– هل نسيت؟ كنت سأتزوج «شت»، لابد من أنني شعرت بأن في حياتي مكانًا لزوج! وقال «بليك»:

– أنا زوجك.

– إنني لا أعرف. ونظرت «دينا» إلى كل مكان إلا هاتين العينين القاتمتين الغامضتين.

– لقد عرفتني معرفة كافية هذا الصباح، عرفتني كما تعرف الزوجة زوجها. هكذا قال «بليك» متعمدًا أن يذكّرها.

– كانت غلطة أحداث هذا الصباح! مرت بجانبه لتهرب إلى الردهة، ولكنه قبض على ذراعها وأدارها نحوه، وسألها:

– لماذا كانت غلطة؟

–لأنني تركت نفسي أستمع لكل كلامك عن ليالي الوحدة الطويلة ، وبدأت أشعر بالعطف عليك، هذا هو السبب. وزمّ فمه حتى أصبح خطًا قاسيًا كله وحشية وكبرياء، وقال غاضبًا:

– إن العطف هو آخر شيء أريده منك.

– إذن لا تطلب مني لملمة شمل حياتنا، لقد تغير كل شيء، إنني لا أعرفك، «بليك شاندلر» الذي قضى أكثر من عامين في الأدغال يعتبر غريبًا لي، ربما اضطررت إلى أن تعيش كحيوان، لكن لا تطلب مني أن أصبح قرينتك،

إنني أكثر من مجرد شيء تشبع به رغبتك! كانت الكلمات تنطلق بسرعة، وكانت كل كلمة تجعل ملامحه أعنف وأصلب حتى لم يبق فيها شيء لطيف أو رقيق. ودفعها «بليك» نحو الباب وقال:

– هيّا نذهب قبل أن تدفعيني إلى أن أثبت أنك على حق! وأدركت «دينا» أنها قد أيقظت نمرًا نائمًا له شهية شرسة، وأطاعته بهدوء. وطوال رحلة العودة إلى منزل أمه ظلت صامتة، ولم تفعل شيئًا يشد الاهتمام إليها. وتجاهلها «بليك» ولم ينظر إليها مرّة واحدة. كانت الحرب الباردة قد تفجرت لفترة قصيرة وتحولت إلى معركة ساخنة، لكن الجو أصبح باردًا مرّة أخرى. وبعد دقائق من دخول المنزل اختفى «بليك» داخل غرفة المكتبة، ووجدت «دينا» نفسها وحدها في غرفة الجلوس مع حماتها تستمع إلى آخر القيل والقال الذي التقطته «نورما شاندلر» في اجتماع بعد الظهر في النادي. قالت المرأة بابتسامة مشرقة:

– بالطبع كان كل واحد حريصًا على معرفة أخبار «بليك» بالتفصيل عن مغامراته في الأدغال، حتى ظننت أنهم لن يتركوني أعود إلى المنزل. وأخيرًا كان لابد من أن أخبرهم بأنه يتعين عليّ أن أكون في البيت عند وصولك أنت و «بليك». كانت «دينا» متأكدة أن «نورما شاندلر» كانت محور الاهتمام، ولاشك في أن المرأة استمتعت بذلك حتى إذا كانت الأضواء انعكاسًا لأضواء ابنها، وتمتمت بذلك «دينا» وهي تعرف أن عليها أن تعرب عن بعض التقدير:

– كانت حركة لطيفة جدًا أن تنتظري على الباب عندما عاد «بليك» من المكتب. وتنهدت «نورما شاندلر» وقالت:

– كنت أتمنى فقط أن ينتظر عدّة أيام أخرى قبل أن يعود إلى العمل، والمفروض أن يرتاح أيامًا قليلة بعد كل ما مرّ به.

– إنني لم أقترح عليه العودة إلى العمل بسرعة، إن «بليك» لديه مشروعات

جديدة جريئة للشركة، وأعتقد أنه حرص على العودة إلى العمل حتى يضعها موضع التنفيذ.

– إنني واثقة بأنك على حق، ولكنه لا يعطينا وقتًا كثيرًا لنستمتع بحقيقة عودته. وأنّبت «نورما شاندلر» نفسها فقالت:

– إنني أشكو بينما المفروض أن أحمد الله، ولكنني فقط لا أستطيع إلا أن أتساءل إلى متى سيظل معي؟ وقطبت «دينا» جبينها وقالت:

– إن هذا قول غريب. وقالت مفسرة:

– من الأرجح أنكما ستنتقلان قريبًا إلى منزل خاص بكما، وعندئذ لن أستطيع أن أراه إلا في عطلة نهاية الأسبوع فقط

– لقد ناقشنا احتمال البحث عن منزل خاص بنا. قالت «دينا» وهي تختار كلماتها بعناية بينما تتذكر نقاشهما في الصباح السابق، وأضافت:

– ولكني لا أعتقد أن هذا سيحدث في المستقبل القريب، من الأرجح أن كلاً منا سيكون مشغولاً جدًا فلايستطيع البحث عن منزل، ونحن بالطبع لا نريد أن ننتقل إلى أي منزل إلا إذا كان ملائمًا. كانت «دينا» تكذب، فلم تكن قد أصبحت امرأة عاملة لا تتوق إلى بيت خاص بها كما جعلت «بليك» يعتقد، لكن في الوقت الحاضر كانت تشعر بالراحة بالحياة في منزل «شاندلر» حيث تستطيع أمه والمشرفة على المنزل أن تخففا من حدّة النزاع. لم تكن مستعدة بعد لتعيش في بيت وحدها مع الرجل الغريب الذي يعتبر زوجها، وربما لن تعيش معه إطلاقًا! وقالت حماتها وهي تبتسم ابتسامة عريضة:

– لن أتظاهر بأنني لست مسرورة وأنا أسمعك تقولين ذلك، إنك تعرفين كيف استمتعت بحياتك معي هنا يا «دينا»، وبعد أن عاد «بليك» تضاعفت سعادتي، هناك شيء جميل في وجود رجل في المنزل إذ يضفي عليه جوًا عائليًا أكثر.

– نعم. هكذا وافقت «دينا» وإن لم يكن من كل قلبها، وقالت المرأة وقد بدا

في صوتها وعلى وجهها شيء من التردد:

– لا أريد أن أتدخل ولكنني أشعر بأن هناك قليلاً من التوتر بينك وبين «بليك» إذا كنت مخطئة قولي لي هذا، لا أريد أن أكون حماة تتدخل في شؤون ابنها وزوجته، لكن... وسكتت مترددة في انتظار رد من «دينا»، وأتى دور «دينا» في التردد... كانت تشك في أن الأم «شاندلر» ستفهم، ولكنها شعرت بأنها تحتاج إلى أن تبوح بمخاوفها لشخص ما، واعترفت بحذر قائلة:

– نعم، يوجد شيء من التوتر بيننا، إن «بليك» قد تغير وأنا تغيرت، لم نعد الشخصين أنفسهما كما كنا منذ عامين ونصف.

– إنه «شت»، أليس كذلك؟ هكذا خرجت «نورما شاندلر» باستنتاجاتها وهي لا تكاد تستمع إلى ما قالته «دينا»، وأضافت:

– أعرف أن «بليك» تصرف أمام الآخرين وكأنه تفهم الوضع وغفر كل شيء... ولكنه أزعجه، أليس كذلك؟

– إلى حد معين، بلى. هكذا ردت «دينا»، وفكرت... لكن ليس بالدرجة التي تصورتها حماتها!

– من الطبيعي أن ينزعج عندما يجد زوجته مخطوبة إلى أفضل صديق له، ولكنه سيتغلب على هذا الشعور، وبعد سنوات قليلة ستضحكان من هذا الموضوع! وأومأت «دينا» برأسها وقالت:

– ربما. ولكنها لم تستطع إلا أن تتساءل: ترى هل سيكونان سويًا بعد سنوات قليلة؟ بعد شهور قليلة؟ ودخلت المشرفة على المنزل غرفة الجلوس وأعلنت:

– العشاء جاهز عندما تريدان. وقالت «نورما شاندلر»:

– الآن يا «ديدر»، «بليك» في غرفة المكتبة، هل لك أن تخبريه من فضلك؟ كان جو العشاء في ذلك المساء يتسم بالحرج، ومما زاد الوضع حرجًا أن «نورما شاندلر» بدت مصرّة على أن تقنع «بليك» بأن تصرُّف «دينا» كان سليمًا في

أثناء غيابه. وبدا «بليك» غير مهتم بالثناء الذي قالته أمه على «دينا» مما دفع «نورما شاندلر» إلى أن تضيف المزيد منه. وشعرت «دينا» بالارتياح في عزلة غرفة نومها بعد أن قُدّمت القهوة. كان توتر اليوم والمساء قد شد عضلاتها، وازدادت توترًا عندما رأت السرير وتذكرت أنها ستنام بجانب «بليك» ليلة أخرى. كانت أسيرة اضطراب مجنون، وسارت «دينا» من غرفة النوم إلى الحمّام، وملأت البانيو بالماء الساخن، وأضافت إليه كمية كبيرة من الصابون المعطر، وأحضرت روبها وعلقته على المشجب وخطت في البانيو وغاصت حتى رقبتها في الفقاعات الساخنة، وتركت الماء الدافئ يزيل التوتر واسترخت ببطء في الحمّام المهدئ. انتشر عطر الفقاعات في الهواء وكان بلسمًا لحواسها، وعندما برد الماء أضافت إليه «دينا» مزيدًا من الماء الساخن، وقد نسيت الوقت وهي داخل شرنقتها المائية! وانفتح باب غرفة النوم وأغلق، وسمعته «دينا» ولكنها لم تهتم في الواقع بأن «بليك» قد دخل الغرفة، فقد كان باب الحمّام مغلقًا وتوقعت منه أن يحترم رغبتها في العزلة. وعندما فتح باب الحمام اعتدلت «دينا» جالسة في نوبة من الاستياء، وجذب صوت الماء نظر «بليك». كان قد خلع سترته ورباط عنقه وفك أزرار قميصه حتى معدته، وكشف بذلك عن كمية من العضل الصلب وشعر الصدر الداكن! واعتذر غير صادق وقال:

– آسف، لم أعرف أنك هنا. كانت الفقاعات قد تبددت ببطء في أثناء حمامها الطويل وبقيت فقط أجزاء قليلة من الرغاوي حول صدرها، ولم يفت ذلك «بليك» فظل واقفًا، وأمسكت «دينا» بمنشفة وغطت بها صدرها وقالت:

– والآن بعد أن اكتشفت أنني هنا، اخرج! وقال «بليك» ساخرًا:

– ظننت أنك قد ترغبين في أن أغسل ظهرك، أم أنك لا تعتبرين هذا سلوكًا متحضرًا؟

– لا أريد أن أغسل ظهري، شكرًا. لم تكن «دينا» متأكدة سبب ضيقها

www.rewity.com

بالمنشفة التي أصبحت مبتلة جدًّا وقالت بحسم:

– اخرج من فضلك، لقد انتهيت من حمامي وأريد أن أخرج من البانيو.

– إنني لا أمنعك... وعندما تخرجين أستطيع أن آخذ دُشًّا. واستدار «بليك» ودخل غرفة النوم وأغلق الباب وراءه، ولم تثق «دينا» به فأسرعت وغسلت الفقاعات التي كانت تجف فوق جلدها وخرجت من البانيو، وبعد أن جففت نفسها بالمنشفة ارتدت روبها. وعندما دخلت غرفة النوم أحست بحواسها ثائرة إلى درجة الغليان. كان يجلس على الكرسي الصغير يدخن سيجارة وقد بدا عليه الهدوء، وانتقلت إليها نظرته الخفية وقالت «دينا» وهي تلوح بيدها نحو الحمّام:

– تفضل، إنه لك! وأطفأ «بليك» سيجارته ونهض من الكرسي الصغير وقال:

– أشكرك. كان رده باردًا خاليا من الشكر على نحو يغيظ، وحبست «دينا» رجفة من أدبه البارد، وتساءلت عما إذا كانت مشاجرتهما الحامية أفضل من هذا، وبينما عبر الغرفة سارت نحو خزانة الملابس وتوقفت لحظة لتنظر إليه، وفجأة شعرت بأنه من الضروري أن توضح له أنها لن تسمح له بأن يطارحها الحب إلى أن تستطيع أن تعرف حقيقة مشاعرها نحوه. كانت تريد أن تضع نهاية لهذا الإحساس بأنها متزوجة برجل غريب قبل أن تعاشره، وبادرته «دينا» قائلة:

– «بليك»، إنني لا أنوي...

– ولا أنا! هكذا قاطعها بحدة، وتوقف على عتبة باب الحمام ليرمقها بنظرته، وتحوّل فمه إلى خط قاسٍ وأضاف:

– لن أمارس حقوقي الزوجية معك، ألم تعتقدي أنني أستطيع صياغتها بطريقة مؤدبة؟ وسخر «بليك» من شحوب بشرتها المفاجئ ومضى يقول:

– ربما لو كنت وعدت بأنني لن أغتصبك، لتناسب هذا أكثر مع فكرتك

عني، أليس كذلك؟ واستدارت «دينا» بعيدة عن تحديه المرير وتمتمت بجمود قائلة:

– إلى أن نفهم بعضنا بعضًا.

– تمامًا... لا يوجد أي خطإ، لن ألمسك ثانية حتى تأتي إليّ، وسوف تأتين إليّ يا «دينا»! كان هناك شيء أقرب إلى التهديد في نبرته الهادئة على نحو شرس، وعندما أغلق باب الحمّام شعرت «دينا» برجفة، واستبدلت روبها بقميص نومها. وسمعت صوت الدُّش في الحمام، وحاولت ألا تتصور «بليك» وهو يقف تحت مائه بجسمه الأسمر الصلب! أزاحت الصورة المثيرة وسارت نحو السرير وطوت المفرش الساتان. كانت «دينا» بين الملاءات الحريرية عندما عاد «بليك» من الحمّام وقد لف منشفة حول خصره، ولم ينظر نحوها عندما أطفأ النور، وسار إلى الجانب الآخر من السرير دون أن يخطئ طريقه في الظلام. شعرت بموجة من الشوق تهدد بإغراقها، وأغمضت «دينا» عينيها بشدة. كان «بليك» يدرك تمامًا أثره فيها، ولديه سبب لكل ما يفعله. لم تصدق أنه يحرم نفسه من امتلاكها على سبيل الاحترام، أكثر مما كانت تعتقد أنه كلف «شت» بمساعدتها على المشروع الجديد، لمجرد أنها تحتاج إلى شخص يساعدها! كان يريد أن يقلل من ثقتها بـ «شت» وأقسمت أنه لن ينجح، لكن الادعاءات التي كان «بليك» قد وجهها ضد شخصية «شت» طاردتها طوال الأسبوعين التاليين، وكانت المرّة تلو الأخرى تلعن في احتجاج صامت بذور الشك التي غرسها «بليك» في ذهنها، ولم تشتد الحرب الباردة بينها وبين «بليك» في هذين الأسبوعين، وفي الوقت نفسه لم يبد دليل على أنها ذابت قليلاً! وأفاقت من أفكارها الكئيبة عندما سمعت طرقًا على الباب المفتوح. كانت تحملق إلى زجاج النافذة الوحيدة في غرفة مكتبها الصغير، والتفتت وأزاحت نظارة القراءة إلى مكان أعلى في رأسها وقالت:

– أهلاً «شت». وتصلبت عندما رأته وحاولت أن تسترخي، ولكنها كانت

تشعر ببعض التوتر مؤخرًا عندما تكون في صحبته، ولم تعد تشعر بالحرية والثقة والاطمئنان الذي وجدته معه في يوم من الأيام.

– أخيرًا حصلت على الصور الخارجية والداخلية للفنادق التي تريدينها. قال ذلك وأشار إلى مجموعة الملفات التي كان يحملها بكلتا يديه، وأضاف:

– ظننت أننا نستطيع مراجعتها سويًا، هل أنت مشغولة الآن؟

– كلا، ضعها هنا. وقال «شت»:

– لقد ألقيت إليها نظرة.

– حسنًا. وأومأت «دينا» برأسها وبدأت تفحصها هي بنفسها، وبدت الكآبة عليها، وعندما وصلت إلى آخر صورة من مجموعة الصور أدركت أنها كانت قد استهانت بكمية الوقت والمال الذي يحتاج إليه تحسين منظر الفنادق من الخارج، وقالت وهي تتنهّد:

– إن المسألة أسوأ مما تصورت. وقال «شت» موافقًا:

– نعم، أعرف. وتنهدت وقالت:

– دعنا نأخذ الفنادق واحدًا واحدًا ونكتب الملاحظات، إن الشيء الذي يجب أن نأخذه في اعتبارنا هو أن كل فندق يجب أن يكون مختلفًا بحيث يتناسب الديكور الخاص به مع موقعه، لا نريد أن يشعر شخص يقضي إجازة بأنه إذا أقام في أحد فنادق «شاندلر» فكأنه أقام فيها كلها!

– هذا صحيح.

–إذن دعنا نبدأ بالفندق الموجود في «فلوريدا». وحملقت «دينا» إلى الصور وقالت:

– سنستفيد هنا من البيئة الاستوائية، فتكون الألوان فاتحة لطيفة ولا ضرورة للسجاجيد، الأفضل أن تكون هناك أرضية من البلاط البارد، ويجب وضع الكثير من الخضرة والزرع، نريد ديكورًا يشبه الموجود في فندقنا في «هاواي» لكن دون الطابع البولينيزي.

– وماذا عن المظهر الخارجي؟وتذكرت «دينا» الميزانية وقالت:

– لا أريد أن نقوم بتحسينات كثيرة في الواجهة إلاّ إذا اضطررنا إلى ذلك. واستمرا يدرسان قائمة الفنادق وصورها، وعندما انتهيا من فحص الصورة الأخيرة ووضعها جانبًا، نظرت «دينا» إلى مجموعة مذكراتها وتنهدت، وسألها «شت»:

– والآن ماذا سنفعل؟ وأخذت «دينا» نفسًا عميقًا وقالت:

– والآن، نحتاج إلى تحويل هذه الملاحظات إلى رسوم.

– هل تريدين أن أبدأ الاتصال ببعض شركات الديكور؟

– نعم، أعتقد ذلك، إن مجال العمل الذي يحتاج إلى التنفيذ يجعلني أتساءل كيف نستطيع أن نتناوله؟ وعضت شفتها السفلى وهي تفكر وأضافت:

– إن شيئًا صغيرًا أو كبيرًا لابد من أن يتم عمله في كل فندق. وذكّرها «شت» قائلاً:

– في الماضي كنا دائمًا نستعين بالشركات الموجودة في منطقة الفنادق وفي المدينة نفسها إذا أمكن.

– نعم، أعرف. ودست «دينا» قلمها في خلال شعرها الذهبي البلاتيني فوق أذنها وقالت:

– راجعت السجلات في الأسبوع الماضي لآخذ فكرة عن النفقات المحتملة، ولاحظت أننا كنا دائمًا نستعمل الشركات المحلية في الماضي. لقد ثبت أن التعامل مع شركة في المنطقة نفسها التي يقع فيها الفندق أمر اقتصادي جدًا. وقال ملاحظًا:

– لكن هذا لن يكون عمليًا، لأن كل الفنادق في الواقع تحتاج إلى ديكور ولابد من السفر الكثير، ولا شك في أن نفقات الرحلات سوف تستنفد أية مدخرات يمكن أن نوفرها باستخدام شركة ديكور محلية. وقالت بإيماءة تنم عن الأسف:

www.rewity.com

– نعم، إنك على حق، ربما من المستحسن أن تكلف شركة كبرى واحدة تستطيع القيام بكل العمل، وقد يكون هذا أفضل من الناحية الاقتصادية على المدى الطويل ومال إلى الأمام وقد لمعت عيناه الزرقاوان الرماديتان باقتراح ثم قال:

– عندي فكرة، أولاً دعينا نطبع على الآلة الكاتبة كل المذكرات، بعد ذلك لماذا لا أتصل بشركتين كبيرتين لتعطينا كل منهما الأسعار التي تقدرها للقيام بالعمل؟ ويمكن عقد مقارنة إذا اخترنا ستة فنادق مثلاً قريبة من هنا وطلبنا من شركات محلية تقدير نفقاتها، يمكن أن نستعمل الفندق في «مين» والفندق هنا في «نيوبورت» بالطبع، والفندق في «بوكونوس» ونقارن الأسعار. وقالت موافقة وهي تفكر في الاقتراح فيروق لها:

– قد يكون هذا مفيدًا. كانت الفكرة شبه مكونة في ذهنها، ولكنها تجسمت تمامًا عندما عبر عنها «شت» بصوت مرتفع، وأضافت:

– اقتراح ممتاز يا «شت».

– سوف أبدأ في تنفيذه فورًا. وبدأ يجمع المذكرات والصور من فوق مكتبها وأضاف:

– لا نريد أن نضيع وقتًا. وقالت «دينا» لتؤخر انصرافه:

– قبل أن تذهب يوجد شيء آخر في ذهني كنت أريد أن أبحثه معك لآخذ رأيك. وجلس «شت» وقال:

– ما هو؟ وقالت موضحة:

– يجب أن ننفذ الديكور الجديد في قاعات الأكل، حتى يظل كل فندق مختلفًا عن غيره في طابعه. وقطب جبينه وقال:

– لكن هذا هو ما نفعله، سيكون تغيير الديكور في قاعات الأكل وقاعات الشراب أيضًا، لقد راجعنا هذا لتونا.

– كلا، لقد فكرت في أن نمد الفكرة إلى الطعام.

– هل تقصدين تغيير قائمة الطعام؟

– ليس تمامًا، يجب أن نحتفظ بالأنواع مثل اللحوم وغيرها، ولكني أريد أن أضيف أطباقًا محلية أيضًا، إننا نفعل هذا بتقديم الأطعمة البحرية على طول الساحل. وأومأ «شت» برأسه وقال:

– فهمت ما تقولينه، في فندق «البوكونوس» مثلاً يمكن أن نضيف أطعمة هولندية بنسلفانية، ويمكن أن نضيف لمسات صغيرة فنقدم مثلا خبزًا حقيقيًا من الذرة مصنوعًا من الذرة البيضاء مع شطائر العشاء هنا في «نيوبورت». وأومأت «دينا» قائلة:

– تمامًا. واقترح قائلاً:

– سوف أتصل بكل مديري المطاعم لكل الفنادق، وأطلب منهم أن يرسلوا إلينا قائمة تضم صنفين أو ثلاثة أصناف من الأطعمة المحلية يمكن إضافتها إلى قائمة طعامهم.

– نعم، اتصل بهم، يمكن أن نبدأ في هذا التغيير فورًا بمجرد إضافة صنف في قائمة الطعام، حتى نستطيع طبع قوائم الطعام الجديدة.

– اعتبري التنفيذ قد تم يا «دينا». وبدأ ينهض ثم توقف وقال:

– هل هذا هو كل شيء؟ وضحكت وقالت:

– في الوقت الحاضر على كل حال.

– سوف أتصل بك وسوف أطلب من سكرتيرتي أن ترسل لك نسخة من هذه المذكرات. هكذا وعد، ثم جمع أكوام المذكرات والصور في يديه، وعندما غادر «شت» المكتب تركت الابتسامة وجه «دينا» وحل محلها تقطيبة حذرة، وحملقت إلى مدخل الباب المفتوح، وشعرت بتلك الشكوك المزعجة تطل عليها برؤوسها القبيحة، وبهزة حاسمة من رأسها أبعدتها وعادت إلى الأوراق التي كانت تتصفحها.

www.rewity.com

- 8 -

انحنت «دينا» فوق مكتبها وركزت اهتمامها في عروض وكالات الإعلان المختارة، وأدخلت طرف قلمها في شعرها شاردة، ولم تسمع وقع الأقدام في الردهة أو تلحظ الجسم الطويل الذي أظلم مدخل باب غرفتها المفتوح.

– هل تعتزمين العمل إلى ساعة متأخرة؟ ورفعت رأسها عندما سمعت صوت «بليك». كان واقفًا هناك قويًا جذابًا، ولونه الأسمر الداكن قد بهت قليلاً وتحول إلى لون برنزي أبرزه بياض قميصه. ونظر إليها بعينين نصف مغمضتين فأعطى انطباع اهتمام كسول ودود، ومع ذلك بدا وجهه مقنعًا. وزادت سرعة نبضها كالعادة عندما يفاجئها بوجوده. وشعرت بانقباض غريب في حلقها، وحبست أنفاسها. وفي لحظة بدت الغرفة تدور بجنون. وفي مثل هذه اللحظات ودت «دينا» أن تترك الجاذبية القوية التي تشعر بها تجتاحها، لكن هذا كان أمرًا سهلاً جدًا وخطرًا جدًا. ولن يحل الخلافات التي قد نشأت في السنوات التي ابتعدا فيها عن بعضهما. عندما استوعبت سؤاله أخيرًا استطاعت أن تنزع نظرتها من عينيه المراقبتين دائمًا لتلقي نظرة إلى ساعتها، ودهشت عندما رأت أنها كادت تصل إلى السادسة ثم لاحظت السكون في بقية المبنى فلم تكن هناك أصوات تترامى إليها من الردهة، ولاصوت الآلات الكاتبة. كان كل موظف تقريبًا قد غادر المبنى إلاّ هي و«بليك»، وردت على سؤاله بقولها:

– لم ألحظ أن الوقت متأخر. سوف أرتب هذه الأشياء ثم ننصرف. وبينما كانت تضع العروض فوق بعضها أخذ «بليك» يتجول في الغرفة.

– كيف تسير الحملة؟ ونظر إلى الأوراق في يدها. وكان لابد من أن تبحث «دينا» عن العداء البارد حتى تبعده عنها، فقالت:

– ألم يخبرك «شت»؟

– نعم لم يخبرني... هل من المفروض أن يخبرني؟

– ظننت أنه سيفعل. ثم فتحت أحد أدراج المكتب لتضع ملفًا، وقال «بليك» وهو يضع ساقًا على المكتب ليجلس على حافته:

– إذا لم تطلبي منه أن يخبرني فإنه لن يفعل. إنه يفعل فقط ما يُطلب منه.

وصفقت درج المكتب وهي تقفله وقالت «دينا» في غضب:

– هل لك أن تكف عن ذلك؟ ورد «بليك» وهو يتظاهر بالجهل:

– أكف عن ماذا؟

– عن إبداء مثل هذه الملاحظات عن «شت». كان العداء موجودًا ولم تعد تحتاج إلى أن تبحث عنه، وهز «بليك» كتفيه دون اهتمام وقال:

– كما تشائين. ووضعت بقية الأوراق والأقلام في درج مكتبها ونهضت من مكانها. كانت سترتها موضوعة على ظهر الكرسي الذي وقف «بليك» قريبًا منه، وقالت بنبرة من الأدب البارد:

– ناولني السترة من فضلك. والتفت «بليك» حوله وناولها إياها وهي تسير حول المكتب، وسألها:

– كيف تعملان أنتِ و «شت»؟

– نعمل على نحو رائع كما كنا دائمًا. هل كنت تتوقع أن يكون الوضع مختلفًا؟ قالت ذلك بتحدٍ وبشيء من التعالي. ثم أضافت في اتهام:

– كنت تتوقع أن يختلف الوضع. أليس كذلك؟

– لا أعرف ماذا تقصدين؟

– لماذا طلبت من «شت» أن يساعدني؟ اعتقدت أنك لم تتصور أنني أستطيع القيام بالعمل. لكن لم يكن هذا كل شيء. أليس كذلك؟ كان غضبها يزداد مع كل فكرة ترد على ذهنها، وقال «بليك» بهدوء تام:

– أخبريني أنتِ.

– لقد غرست كل هذه الشكوك عن «شت» في ذهني ثم جعلتني أعمل معه

على أمل أن تتسم فكرتي ضده. أليس كذلك؟ كانت «دينا» غاضبة من الطريقة التي حاول «بليك» أن يؤثر بها في تفكيرها.

– إنني أعترف أنه بعد حديثنا القصير عن «شت» كنت آمل أن تنقشع الغمامة عن عينيك وتعرفيه على حقيقته. ولم يكن هناك أثر للندم في وجهه أو صوته بعد أن كشف عن غرضه، وقالت:

– هذا أحط شيء سمعت وأقذره. كانت ترتجف في غضب. ولم تشعر بيدها وهي تمتد لتضربه إلا بعد أن قبض عليها قبل أن تصل إلى هدفها، وشهقت متألمة وهو يلوي ذراعها ليقربها منه. كان قد استقام ليقف أمامها وقال لها:

– عندما صفعتني في المرّة السابقة تغاضيت عن تصرفك لأنني ربما كنت أستحق ذلك. لكن ليس هذه المرّة. إنني الآن أقول الصدق.

– ولكنه ليس الصدق، ولا كلمة واحدة قلتها عن «شت» صادقة. كلها أكاذيب ولا كلمة منها صادقة. وعادت تلك النظرة القاتمة النفاذة إلى عينيه وهما تتفحصان وجهها الغاضب. وقال بصوت خفيض مقتنع:

– إنك تعرفين أنه صدق، أليس كذلك؟ لقد بدأت ترينه بنفسك وهذا هو السبب في أنك غاضبة. ونفت قائلة:

– كلا... ليس صحيحًا، إنني لم أره. وأصر «بليك» بصبر متجهم، وقال:

– بل رأيته. لماذا لا تعترفين؟ واستمرت «دينا» في إنكارها، وحاولت جاهدة أن تتخلص من قبضته وقالت:

– كلا، ولن أبقى هنا وأستمع إليك وأنت تمزق «شت». وزاد من ضغط قبضته وقال:

– إنني لا أحاول أن أجعله يبدو أقل من رجل، ولكنني أحاول أن أجعلك ترينه على صورته الحقيقية وليس بالطريقة التي تصورته بها. لماذا لاتستطيعين أن تفهمي أن كلامي ليس هجومًا شخصيًا عليه؟ وفجأة ودون توقع فهمته

وصدقته، ونزع الاكتشاف الحرارة من غضبها، وتوقفت «دينا» عن الشجار ووقفت هادئة، واعترفت قائلة:

– وهو كذلك.

– وهو كذلك ماذا؟ وأحنى «بليك» نظرته إلى فمها، وراقب شفتيها وهما تكونان كلمات الرد، واعترفت قائلة:

– لقد لاحظت عدة أشياء.

– مثل ماذا؟

– إنه يأخذ اقتراحًا ويضيف إليه حتى يقنعك تقريبًا بأن الفكرة كانت فكرته أصلاً.

– هل فعل ذلك؟

– نعم اليوم، عندما ذكرت فكرة بالنسبة إلى إضافة عدّة أصناف محلية إلى قائمة الطعام. وتمنت لو أن «بليك» توقف عن مراقبتها وهي تتكلم، فقد كان ذلك يربكها ويثير حواسها، وأضافت:

– إنه يتصل بمديري المطاعم ليبدؤوا في تنفيذها. وقال «بليك» موافقًا:

– إن «شت» ماهر جدًا في تنظيم وتنفيذ أي اقتراح، وماذا أيضًا؟

– لا أعرف. أشياء صغيرة كثيرة. وتشجعت «دينا» بالإطراء الذي كان «بليك» قد وجهه إلى «شت»، فذكرت محادثة أخرى أزعجتها، وقالت:

– عندما لم أتخذ قرارًا اليوم بشأن اختيار شركة ديكور محلية أو كبرى لوضع الديكور للفنادق، لم يتخذ «شت» قرارًا هو أيضًا، واقترح أن نعقد مقارنة بين أسعار الشركتين وتجنب الإدلاء برأي قاطع. في الأسبوعين الماضيين لاأستطيع أن أتذكر أن «شت» اتخذ قرارًا أو قدم فكرة من عنده. وعندما تذكرت الماضي أدركت أن عرضه الزواج بها كان امتدادًا لحديث بينهما حول ما إذا كانت ستتزوج ثانية أم لا؟ وعندما قبلت فكرة احتمال الزواج، سألها «شت» عما إذا كانت ستختار شخصًا مثل «بليك»، وكانت إجابتها بالنفي، هي التي دفعت

«شت» إلى أن يقدم نفسه بعد أن جس النبض أولا. ولم تكن تلك علامة الرجل القوي الذي يمكن الاعتماد عليه كما تصورته. كان الاعتماد عليه يقتصر على الأوقات التي يحدد له فيها شخص آخر ما يفعله. وشردت «دينا» بأفكارها ولم تتنبه إلى الصمت الذي كان قد خيّم عليهما إلى أن تكلم «بليك» وقال:

– إن لدي سببًا أنانيًا آخر لاختيار «شت» للعمل معك في هذا المشروع. كانت أصابعه تربت برقة معصمها، وأحست بالدفء يسري في ذراعها وقالت:

– ما هو؟ ونظرت إلى عينيه، وكاد يتغلب عليها إحساس بأنها مستعدة لأن تغرق في البركتين القاتمتين.

– كنت أعرف أن هذا المشروع سيحتاج في النهاية إلى عدّة أسفار. وأردت أن أتأكد أن زوجتي لن تقوم بتلك الرحلات.

– فهمت. ولم تستطع أن تفكر في شيء آخر تقوله. وقال «بليك»:

– يجب أن تعرفي هذا أيضًا يا «دينا». أنت وأنا لن ننفصل أبدًا لأي سبب. وارتجفت من النبرة المصممة القاسية الكامنة في قراره، وبشيء من عدم الرغبة انسحبت من لمسته واستدارت إلى المكتب لتأخذ حقيبة يدها، وقالت وهي تشعر بالتيارات المغناطيسية بينهما تجذب وتبعد.

– هيّا ننصرف الآن. ولم يبدِ «بليك» حركة للانصراف، وظل واقفًا هناك ينظر إليها، مما جعلها تشعر بعدم الارتياح وعدم التأكد من رغباتها واحتياجاتها. وقال لها:

– عليك أن تتخذي قرارًا عاجلاً أم آجلاً. ورددت كلماته بنعومة:

– أعرف، عاجلاً أم آجلاً. وسألها:

– لماذا تنتظرين. ما الذي يمنعك؟ لم يعد «شت» هو المانع. ماذا بقي؟

– لا أعرف. وهزت «دينا» رأسها وهي غير متأكدة وسارت نحو الباب، وسار «بليك» خلفها بذلك الصمت الحيواني الذي بدأت تربطه به. ووضع يديه فوق كتفيها. وتوقفت من مجرد لمسته. وأمرها «بليك» متمتمًا بصوت منخفض:

– اتخذي قرارًا الآن. كان شعرها الطويل الذهبي معقوصًا خلف رأسها، وأحست بأنفاسه الدافئة المثيرة تلفح عنقها الحسّاس، وضغط عليها، وسرت رجفة في جسمها، وأحست «دينا» بأنه يستطيع أن يصوغها كما يريد. حاولت أن تتخلص من الانفعالات التي كانت تعتمل بداخلها، فقالت محتجة:

– لا أستطيع يا «بليك». وانتقل فمه إلى أذنها وقال:

– إنك تريدين... وتعرفين ذلك... قالت وهي تلهث:

– لا أعرف أي شيء. وقال «بليك»:

– إذن اشعري. كانت هذه المشكلة. كانت تشعر أكثر من اللازم، وكانت مشاعرها تعوق أفكارها، ولم تكن تريد أن تتخذ قرارًا في حرارة عناقه. وبالتأكيد ليس في ذلك الجحيم الذي كان يحرقها الآن، وأزاحت يديه من حول خصرها وقالت:

– لا يا «بليك». وابتعدت خطوة عن عناقه المغري، ووقفت وهي ترتجف وقد أحنت رأسها، وشعرت بنظرته تنفذ داخل كتفيها، وقلد كلماتها ساخرًا بلهجة لاذعة:

– لا يا «بليك». هذا هو ردك دائمًا. إلى متى ستظلين ترددين العبارة نفسها؟ وأجابت «دينا»:

– إلى أن أتأكد أنني أعرف ما أفعله. وحاول «بليك» أن يسيطر على أعصابه وقال لها:

– وكم يستغرق ذلك؟ قالت وهي تتنهد:

– لا أعرف. إنني أعرف فقط أنه من السهل الاستسلام لعاطفة متأججة الآن وليس من السهل مواجهتها غدًا.

– إذن فأنت أقوى مني بكثير يا «دينا»، لأنني لا أفكر إطلاقا في الغد. ووضع إحدى يديه تحت مرفقها وتصورت أنه سيتجاهل ما قالته ويعانقها حتى تستسلم. ولم يكن هذا أمرًا صعبًا. لكن يده دفعتها إلى الأمام وتمتم قائلاً:

– هيا نذهب! كانت خطواته الطويلة التي تطوي الأرض تجعل من المستحيل على «دينا» أن تلحق به دون أن تجري تقريبًا. ولم يبطئ في سيره حتى وصل إلى مكان وقوف السيارات، ودون أن ينظر إليها مباشرة فتح «بليك» باب السيارة لها، ثم صفقه بشدة عندما دخلت وجلست، وسار حول السيارة وفتح بابه وجلس خلف عجلة القيادة، ووضع المفتاح في المحرك ولكنه لم يدره، وشعرت «دينا» بتوتر من الصمت، وأخيرًا التفت إليها وقال:

– في اليوم الأول لعودتي زعمتِ أننا نحتاج إلى وقت لنعرف بعضنا، وأن علينا أن نتكيف مع بعضنا ثانية، وشعرتِ بأننا نحتاج إلى أن نتكلم. قالت:

– يدهشني أنك تتذكر. وكادت تعض لسانها، لأنها قالت هذه الكلمات اللاذعة.

– صدقيني، إنني أتذكر كل شيء قلته. هكذا رد بجمود جاف، وعاد بنظرته إلى زجاج السيارة أمامه، وتحركت «دينا» بقلق في مقعدها ولكنها ظلت صامتة.

– المشكلة يا «دينا» هي أننا لا نحاول أن نعرف بعضنا ثانية. إننا لا نتكلم، وغرفة النوم هي المكان الوحيد الذي نقضي فيها وقتًا بمفردنا. وكلانا يعرف أنه لا يتم أي اتصال هناك.

– إذن ماذا تقترح؟ كانت لهجة «دينا» جامدة وقد أسرع نبضها، وقال بلهجة ساخرة:

– لا... أنا لا أقترح، رغم أنني أعرف أنك مقتنعة بأن رغباتي أصبحت بدائية بحتة. واحمر خداها قليلا وقالت:

– إذن ماذا تقترح؟

– أن نقضي وقتًا أكثر مع بعضنا كما كنت تريدين.

– إن هذا صعب لأن كلاً منا يعمل. وذكّرها «بليك» قائلاً:

– ولكننا لا نعمل في نهاية الأسبوع.

– إنك تنسى أننا نقيم في منزل أمك. والواقع أن الأم «شاندلر» لم تكن قد تغلّبت بعد على فرحتها بعودة ابنها، وكانت تحوم حوله كلما استطاعت، ورد «بليك» بهدوء:

– لا... لا أنسى ذلك، المهم أن نكون وحدنا دون أصدقاء ولا أقارب أنا وأنت فقط، وأعتقد أن هذا لا يمكن أن يتحقق في منزل أمي، ولهذا قررت أن نقضي نهاية الأسبوع في «بلوك أيلاند» حتى نكون وحدنا كل الوقت الذي تزعمين أننا نحتاج إليه.

– «بلوك أيلاند»! هكذا كررت «دينا» اسم الجزيرة التي كانت تقع على مسافة 22 كيلومترًا تقريبًا من «رود أيلاند».

– هذا ما قلته، هل لديك مانع؟ والتفت إليها وقد بدا بريق من التحدي في عينيه الداكنتين.

– لا مانع! كيف يكون هناك مانع بعد أن حاصرها بكلماتها نفسها؟

– يوجد شيء آخر يا «دينا». واستمر «بليك» يتفحصها وهو يشعر بأن موافقتها كانت على مضض، لكن «دينا» لم تكن تعرف لماذا وافقت على مضض؟

– ما هو؟

– أريد أن تفهمي هذا بوضوح قبل ذهابنا، إذا لم تتخذي قرارًا بشأننا مساء يوم الأحد فإنني لن أنتظر أكثر من ذلك. وعندما رأى وجهها يشحب ابتسم دون مرح، وأضاف:

– ولا يهمني سواء اعتبرت هذا تهديدًا أم وعدًا. وقالت محتجة:

– لا تستطيع أن تحدد وقتًا معينًا هكذا.

– ألا أستطيع؟ وكان «بليك» قد التفت بعيدًا ليحرك السيارة، وتجاهلها بعد أن أوضح نيّاته. وردت «دينا»:

– إن كل ما تفعله هو أنك تحول نهاية الأسبوع هذه إلى مهزلة. وقال «بليك»

دون اهتمام:

– كما تشائين، تذكري فقط أن تعدّي حقيبة ملابسي وتحضريها معك إلى المكتب يوم الجمعة صباحًا. سوف نأخذ الزورق إلى «بلوك أيلاند» بعد العمل.

وبينما غادر الزورق مياه خليج «نارا غانت» اتجه إلى مياه «الأطلنطي» في طريقه إلى الجزيرة، نظرت «دينا» إلى برج «برنتون ريف» لم تكن هي و«بليك» قد تبادلا أكثر من خمس كلمات منذ أن غادرا المكتب، وبدأ الصمت يزداد كثافة. كانت تعرف سبب صمتها. إنذار «بليك» قد جعلها تشعر وكأنه يوجه مدفعًا إلى رأسها. فكيف تتطلع إلى عطلة نهاية الأسبوع أمامها وقد حدد النتيجة مقدمًا؟ كان يجب أن ترفض الحضور. لماذا لم تفعل؟ الحبوب التي أخذتها لعلاج دوار البحر قد شوشت أفكارها، لكن على الأقل أنقذتها من حرج القيء رغم أنها خدرتها قليلاً. وتنهدت ونظرت إلى «بليك» الذي كان واقفًا على بعد أمتار قليلة يتكلم مع أحد المسافرين. كان واضحًا أن الرجلين يتحدثان عن الطقس، لأن «دينا» سمعت الرجل يقول:

– أرجو أن يكون الجو مشمسًا صافيًا في الجزيرة كما تقول. أجهل كل شيء عن تيارات المحيط وكيف تؤثر في الطقس، كل ما أعرفه أنني أريد قضاء نهاية الأسبوع في الصيد. وثبت أن تنبؤ «بليك» بصحو الجو في «بلوك أيلاند» كان صحيحًا. وعندما رسا الزورق في الميناء القديم لم يكن في السماء إلا سحب قليلة. لكن الصمت بين «دينا» و «بليك» لم يقطع، ورغم ذلك شعرت بروحها المعنوية ترتفع وهما يغادران الزورق ويسيران في الجزيرة التي سميت باسم «أدريان بلوك» وهو أول أوروبي اكتشفها. كان جو الجزيرة منعشًا وفهمت «دينا» لماذا كانت مكانًا صحيًا راقيًا. واستغرقت في مشاهدة المناظر بينما كان «بليك» يقود السيارة عبر الجزيرة إلى القرية الجميلة الممتدة على ضفاف «غريت سولت بوند»، وعاد إليها قدر كبير من التوتر السابق، عندما أوقف «بليك» السيارة أمام فندق، وشعرت بأن مشاركتها له في غرفة

في فندق أمر مختلف على نحو ما... لماذا؟ لم تستطع «دينا» أن تعرف. فقد اشتركا في غرفة نوم واحدة منذ أن عاد «بليك» وأحست بالحرج وهي تسير بجانبه إلى غرفة الانتظار. نظر إليها «بليك» متفحصًا القلق الذي بدا على وجهها وسألها:

– كيف تشعرين؟ وأجابت «دينا» بسرعة:

– إنني بخير.

– هل تشعرين بالغثيان من رحلة الزورق؟

– لا، الواقع أنني لم أشعر قط بالغثيان، إنني بخير ما عدا صداع خفيف، إمّا أن الحبوب كانت قوية وإمّا أنني لم أعد أشعر بدوار البحر.

– حسنًا. كانت ابتسامته متجهمة بعض الشيء، وأضاف:

– عن إذنك، أريد أن أذهب وأؤكد حجزنا. وبينما سار نحو مكتب الحجز وقفت قريبًا من مائدة عليها بطاقات بريدية وتظاهرت بأنها تهتم بتلك الصور الملونة، وشعرت بتقلص في معدتها عندما رأت الحمال يأخذ الحقائب، وسار «بليك» نحوها والتقطت بسرعة بطاقة بريدية متظاهرة بأنها تدرسها عن قرب.

– هل تنوين إرسال بطاقة بريدية إلى أحد؟ ولم ينسها السؤال الساخر تقلص معدتها، وأعادت البطاقة إلى مكانها بسرعة وقالت:

– كلا... كنت فقط أنظر إلى الصورة.

– غدًا سوف نلقي نظرة إلى الفنار الحقيقي. واضطرت «دينا» إلى أن تنظر إلى البطاقة، كانت متنبهة جدًا إلى وجود «بليك» لدرجة أنها لم تلحظ موضوع الصورة في البطاقة، والآن اكتشفت أنه فنار! وقالت لمجرد أن تقول شيئًا:

– إنه يبدو شائقًا.

– نعم. هكذا وافق «بليك» بجفاء، وكأنه أدرك أنها لم تعرف ماذا في الصورة قبل ذلك، وأضاف:

– هيّا نذهب إلى غرفتينا.

– غرفتينا؟ غرفتان اثنتان. هكذا سألت عيناها، وأجاب:

– نعم غرفتان. ودهشت «دينا» من تعبير الصبر اللطيف الحاني الذي بدا على ملامحه الصلبة عادة، وأضاف:

– إن غرفتينا متجاورتان. أعتزم أن أعطي نهاية الأسبوع هذه كل فرصة لإثبات أي شيء تشعرين بأنك محتاجة إلى إثباته يا «دينا». ولم تستطع أن تجد أي رد، ومن الغريب أن هذا بدا تنازلاً أكثر من كل الليالي التي شاركها فيها الفراش دون أن يقترب منها. لعله أراد أن يوفر لها العزلة لتفكر وحدها دون أن يزعجها أو يؤثر فيها بوجوده، وعندما ناولها أحد المفتاحين في يدها استطاعت أن تقول بهدوء:

– أشكرك.

– عندما يكون المرء يائسًا فإنه يجرب كل شيء. هكذا رد «بليك» بغموض، لكن «دينا» تصورت أنها لمحت ومضة من الدعابة في عينيه الداكنتين وقد جعلته يبدو أكثر بشرية. سارا إلى غرفتيهما في صمت، لكن الصمت لم يعد مفعمًا بالتوتر كما كان، وتردد «بليك» خارج الباب والتقت نظراتهما لحظة قبل أن يدير المفتاح في قفله ويدخل، وعندما دخلت «دينا» غرفتها لحظت أن حقيبة ملابسها موجودة، وسارت إليها معتزمة أن تفتحها... وبدلاً من ذلك توقفت عند الباب الداخلي الذي يصل غرفتي النوم. كان «بليك» في الناحية الأخرى منه، ودون أن تشعر مدت يدها إلى مقبض الباب ولم ينفتح، وتنازعها الندم مع الارتياح وهي تعود إلى حقيبة ملابسها وتفتحها، وبعد ساعة كانت قد أخذت حمّامًا وارتدت ثوبًا أنيقًا في لون القمح. لم يكن «بليك» قد أخبرها إذا كان سيقابلها لتناول العشاء، هل تنتظر في الغرفة أم تذهب إلى المطعم؟ ثم قررت أن تنتظر وجلست على السرير، ولاحت ابتسامة على

شفتيها، كان الفراش ليّنًا وثيرًا يغوص تحتها مثل الريش، سيكون تغييرًا رائعًا عن فراش «بليك» الصلب كالصخر في المنزل، وعندئذ سمعت طرقة على بابها ونهضت «دينا» لتفتحه والابتسامة على شفتيها، ووقف «بليك» في الخارج ونظر إليها وقال معلقًا:

– تبدين مسرورة من شيء. وقالت «دينا» وقد ظهرت غمازتان في خديها:

– سريري... إنه لين. وقهقه برقة وهدوء، وقفز قلبها ثم رفض أن يعود إلى إيقاع منتظم.

– هل نذهب إلى العشاء؟ كان قرارًا أكثر منه سؤالا بينما مد «بليك» يده ليمسك بيدها، وتركت أصابعها مستكينة في يده، ولكنه ظل يسد مدخل الباب ولا يسمح لها بالخروج، ورفع يدها إلى فمه وتمتم قائلاً:

– هل قلت لك كم أنت رائعة الجمال؟

– «بليك» أرجوك. هكذا اعترضت «دينا» وهي تنظر إلى حيث لمست شفتاه الدافئتان يدها.

– إنها مجرد مجاملة. هكذا قاطعها بابتسامة جامدة وهي تبعد يدها وأضاف:

– وليس عليكِ إلا أن تقولي أشكرك.

– أشكرك. هكذا كررت في صوت مشدود، وتحرك «بليك» وأفسح لها الطريق لتخرج من الغرفة، ومد يده ليغلق الباب ثم قال:

– هذا أفضل. وكان طبيعيًا أن يختارا طعامًا بحريًا طازجًا من قائمة الطعام. وعندما قررا ذلك جلست «دينا» في الكرسي المقابل لـ «بليك»، وفي داخلها كتل من الأعصاب المتوترة، ولكنها أرغمت نفسها على أن تبدو هادئة، ولم تستطع قول أي شيء، وكان ذلك دليلاً على مدى تباعدهما هي و «بليك» وشعرت بلسانها وكأنه مربوط بعقدة! وقال «بليك» في كسل واضح:

– سأقوم بجولة إلى المكتبات قريبًا، أريد أن أقرأ أشياء كثيرة فاتتني.

– نعم أعتقد ذلك. وتمنت «دينا» أن تبكي بسبب ردها العقيم، لكن «بليك» لم يلاحظه أو لعله تعمد أن يتجاهله وقال:

– قد يبدو هذا جنونًا، لكن القراءة كانت أكثر شيء افتقدته، افتقدتها أكثر من الوجبات الشهية والملابس النظيفة، لم أكن أعتبرها ضرورة مهمة من قبل.

– ولا أنا.

– هل هناك كتب جديدة توصين بضرورة قراءتها؟ وترددت «دينا» قليلاً ثم اقترحت قائلة:

– جذور. وقبل أن تدرك ماذا حدث، وجدت نفسها منهمكة في مناقشة كتب جديدة صدرت في غياب «بليك»، وعناوين قرأها كل منهما في الماضي، وانتقل حديثهما من القراءة إلى الأفلام واستعراضات «برودواي»، وبدا أمرًا طبيعيًا أن تخبره بالأشياء التي فعلتها وهو بعيد والقرارات التي اضطرت إلى اتخاذها، مثل تأجير شقتهما وفرز أثاثهما. وعندما نادى «بليك» الجرسون ليدفع الحساب دهشت «دينا» عندما اكتشفت أن الساعة تجاوزت العاشرة، وأنه لم تمر لحظة حرجة واحدة بينهما، ولم تذكر ملاحظة واحدة تثير الجدل، لم تكن تتصور أن هذا ممكن، وتساءلت عما إذا كان «بليك» قد لاحظ هذا! ولكنها خشيت أن تسأل، فلم تكن تريد المجازفة بتحطيم أي نوع من هدنة مؤقتة قد وصلا إليها، وبدا التفكير على كل منهما وهما يعودان إلى غرفتيهما، وشعرت «دينا» بيده تستقر على خصرها، ولم تعترض على ذلك، وسألها «بليك» عندما توقفا أمام باب غرفتها:

– هل تعرفين بماذا يذكرني هذا؟ ورفعت «دينا» وجهها إليه وقالت وهي تفكر بفضول:

– ماذا؟

– كل هذه المرات التي كنت أسير فيها معك حتى باب المنزل الذي كنت تقيمين فيه مع صديقاتك، وأقبلك قبلة المساء في ركن مظلم من المبنى ونظر حوله في الردهة ثم قال:

– لا توجد هنا بالطبع أية أركان مظلمة! وعاد ينظر إلى وجهها وأضاف:

– ولكنني سوف أقبلك قبلة المساء. وأحنى رأسه ورفعت «دينا» رأسها لتقابله في منتصف الطريق. كان العناق حارًا رقيقًا متسائلا ويبحث في الوقت نفسه، عن أجوبة لأسئلة غير معروفة، وبدا أن كلاً منهما يدرك أن أقل إثارة يمكن أن تحول العناق إلى عاطفة متأججة، لكن أحدًا منهما لم يحاول ذلك، فقد كانا يختبران فقط درجة حرارة الماء دون أن يغوصا فيه! وترك كل منهما الآخر رغمًا عنه، ونظرا إلى بعضهما في صمت. تراجع «بليك» خطوة إلى الوراء وقد لاحت على وجهه نظرة غامضة وسألها:

– هل معك مفتاحك؟

– نعم. وفتحت «دينا» كيس نقودها وأخرجته منه، وتردد «بليك» نصف ثانية وقال:

– تصبحين على خير. ثم سار نحو باب غرفته.

– تصبح على خير يا «بليك». هكذا تمتمت «دينا» ودخلت غرفتها في الفندق وحدها.

- 9 -

لم تنم «دينا» نومًا عميقًا في تلك الليلة، ومن الغريب أن ذلك كان يرجع إلى أن فراشها لين جدًا، واستيقظت من نومها المتقطع على طرقة على الباب وسارت

متعثرة عبر الغرفة لتفتح الباب واستندت إليه وهي مرهقة، وقالت:

– من الطارق؟ وجاء الرد:

– «بليك»، هل أنت مستعدة للإفطار؟ وأطلقت «دينا» أنّة، لا يمكن أن يكون الصباح قد حل.

– هل أنت بخير؟ كانت نبرة خافتة ونافذة، وتمتمت قائلة:

– نعم أنا بخير. ثم أضافت في صمت:

– أحتاج فقط إلى بعض النوم! وأمرها قائلاً:

– افتحي الباب يا «دينا». كانت مرهقة جدًّا فلم تقدر على التفكير في سبب للرفض، ولا أن تجادل حتى إذا وجدت سببًا، وفتحت الباب وخطت جانبًا بينما دفعه «بليك» داخلاً. كان القلق باديًا على وجهه ولكنها لم تلحظه وقالت «دينا» وهي تستدير لتعود إلى الفراش:

– لا أريد أن أتناول الإفطار، اذهب دوني. ووضع «بليك» ذراعه حولها ليديرها، وأزاح خصلة شعرها الذهبي خلف أذنها ورفع رأسها، كانت قوته شيئًا رائعًا، وتركته «دينا» يسندها فلم تكن تستطيع الوقوف من فرط تعبها، وقال «بليك» وهو يقطب جبينه:

– ماذا بك يا «دينا»؟ يبدو عليك الإرهاق! وقالت وهي تتنهد:

– أنا مرهقة، إن فراشي الجميل اللين كان لينًا أكثر مما يجب، ولم أنم إلا قليلاً. وضحك بنعومة وسخر منها بلطف قائلاً:

– لماذا لم تأخذي وسادة وبطانية من السرير لتنامي على الأرض؟

– أعتقد أن هذا هو ما فعلته أنت. وأومأ قائلاً:

– نعم. وأضافت بلهجة حاسدة:

– ولعلك استغرقت في النوم مثل طفل صغير! ونفى «بليك» قائلاً:

– لم أستغرق إلى هذا الحد.

– لم لا؟ ووضعت «دينا» ذراعيها حول جسمه الصلب الدافئ ووضعت رأسها على صدره وأغمضت عينيها، وقال «بليك»:

– لا أحب النوم وحدي منذ أن رأيتك. وسرى كلامه المثير في رأسها الناعس، وأدركت «دينا» أنها تشعر بالراحة والدفء بين ذراعيه... واقتربت منه أكثر واقترحت في همهمة ناعسة قائلة:

– لماذا لا أظل هكذا لحظة حتى أنام؟

– لا أعتقد ذلك. وسحب ذراعه التي كانت حولها وأبعدها عنه وأضاف:

– إذا بقيت بين ذراعيّ مدّة أطول فلن أفكر في النوم. وبدت نصف ابتسامة على ركن فمه، ثم مضى قائلاً:

– لماذا لا تأخذين دُشًّا وترتدين ملابسك؟ سأذهب وأحضر بعض القهوة حتى تنعشك قبل أن نتناول الإفطار. ولم تجد «دينا» فرصة للموافقة أو المعارضة، ودفعها صوت إغلاق الباب إلى أن تتحرك، ونظرت إلى الفراش باشتياق، ولكنها عرفت أنه لا فائدة من النوم، فحتى لو عادت إلى النوم فإن «بليك» سيأتي بعد لحظات ويوقظها، ونفذت اقتراحه وسارت نحو الحمّام. كان الصباح قد انتصف عندما انتهى «بليك» و «دينا» من إفطارهما وخرجا ليقوما بجولة في الجزيرة المليئة ببرك من المياه الصافية. وأوقف «بليك» السيارة على ضفة «موهيغان» الصخرية على الشاطئ الجنوبي الشرقي، وكان الفنار في البطاقة البريدية يقبع فوق الصخور ويطل على البحر، ونوره من أقوى أنوار الفنارات البحرية على ساحل «نيو إنغلاند». كان نسيم المحيط رطبًا، وأغلق «بليك» السيارة وأخذت طيور البحر تحوم فوق رأسيهما وهما يسيران أمام الفنار في الطريق المنحدر الذي يؤدي إلى الشاطئ، كانت ذراع «بليك» حول كتفي «دينا» حتى تظل قريبة إلى جانبه، وخطت فوق قطعة خشب ورفعت نظرها إليه، وبدت ملامحه هادئة فيها لمحة من الرضا. قالت وهي تخاطب

نفسها أكثر مما تخاطبه:

– لماذا نشعر بالراحة مع بعضنا؟ واقترح «بليك» قائلاً:

– ربما لأننا لم نعد ننظر إلى بعضنا!

– ماذا؟ وتجعد جبينها بتقطيبة حائرة وأظلم الاضطراب زرقة عينيها.

– هذا يبدو غريبًا بعض الشيء. ولاحت ابتسامة باهتة على فمه عندما نظر إليها، ثم حول نظرته إلى الأمام وراح يفكر، ثم أضاف:

– أقصد أننا لم نعد نحاول رؤية العيوب والأخطاء في بعضنا، لقد بدأنا ننظر سويًا إلى الخارج.

– هل تعتقد أن هذا هو السبب؟ وحولت «دينا» أيضًا نظرها إلى الشاطئ أمامها، ورد قائلاً:

– لماذا تهتمين بتحليل السبب؟ لماذا لا تستمتعين بالوضع فقط؟

– هذا صحيح، إلاّ أنني أحب معرفة أسباب الأشياء! وتمتم «بليك» بجفاء وقال:

– أذكر هذا، كما حدث عندما أعطيتك خاتم خطبتك وأردت أن تعرفي لماذا عرضت عليك الزواج! وضحكت «دينا»:

– وقلت لأنك تريد أن تضع حلية جميلة في بيتك. وتوقفت عن الضحك ورمقته بنظرة حذرة، وأضافت:

– هل هذه هي الطريقة التي تنظر بها إلى النساء؟ مجرد حليّ؟ وبدا عليه شيء من الضيق ونفاد الصبر وقال:

– يجب أن تعرفيني أفضل من ذلك يا «دينا». وظلت صامتة لحظات ثم قالت:

– هذه هي المشكلة كما أعتقد، لم أعد واثقة بأنني أعرفك، كنت تبدو دائمًا مهذبًا جدًا... والآن... ورفعت رأسها في حركة باحثة وأضافت:

– والآن تبدو بدائيًا جدًا.

– لقد تعلمت أن أسس الحياة أهم. أما الباقي فهو مجرد واجهة، لا أعتقد أنني تغيرت في مبادئي. وتساءلت بصوت مرتفع:

– ربما انشغلت بالبحث عن الواجهة. فلم أتعرف إليك. وقال «بليك» موافقًا:

– ربما. ثم ابتسم ابتسامة سريعة وأضاف:

– كيف بدأنا هذا النقاش الجاد؟ وانتقلت إليها عدوى تحوله من الجد إلى الدعابة. فقالت «دينا» فورًا:

– لا أعرف، أنت بدأته. وصحّحها بالطريقة المازحة نفسها:

– لم أبدأه، أنتِ التي بدأتِه عندما سألتِ لماذا لا نتشاجر؟ وهزت كتفيها وقالت:

– لم تكن مضطرًا إلى أن ترد عليّ، فهي غلطتك إذن! وقال «بليك» وهو يهز رأسه مداعبًا:

– إن مثل هذا المنطق لا يمكن أن يأتي إلا من امرأة. وسألته وهي تتظاهر بالغضب:

– هل تدلي بملاحظات مهينة ضدّ بنات جنسي ثانية؟ وأصر قائلاً:

– إنني أذكر حقائق فقط. ودفعته «دينا» بكتفها، واختل توازنه وانسلت ذراعه من حولها واضطر إلى أن يتخذ خطوة جانبًا، وعندما خطا «بليك» تلك الخطوة استقرت قدمه وفردة حذائه وجوربه وثنية بنطلونه في الماء المالح، وشهقت «دينا» ضاحكة وهددها مداعبًا وهو يتقدم نحوها:

– هل ترين هذا شيئًا مضحكًا؟ ودون أن تشعر بدأت تتراجع وقالت:

– صدقني يا «بليك»... أنا آسفة. كانت تحاول جاهدة ألا تضحك، لكن الضحك بدا في صوتها وهي تقول:

www.rewity.com

– لم أكن أعرف... صدقني... لم أقصد أن أدفعك في الماء. واستمر «بليك» يقترب منها وقال:

– دعينا نرى إذا كانت الملابس المبتلة تُضْحِك.

– كلا... يا «بليك»... وأخذت «دينا» تتراجع وهي تهز خصلات شعرها الذهبي، وكان الوميض الشرير في عينيه يحذرها من أن الكلمات لن تهدئه. واستدارت وجرت نحو الصخرة المرتفعة بعيدًا عن أمواج المحيط، وجرى «بليك» وراءها واستطاع أن يقترب منها بخطواته الطويلة. كانت «دينا» تعرف أنه سيمسك بها في أية لحظة ووجهت نظرة ضاحكة فوق كتفها. وفجأة تعثرت في قطعة من الخشب جرفتها المياه وسقطت على الشاطئ، وخففت من حدّة عثرتها ذراعاها الممتدتان فلم تصب بأذى، وتدحرجت على ظهرها وهي تلهث وتحاول ألا تضحك، بينما سقط «بليك» على ركبتيه بجانبها، وسألها بابتسامة قلقة:

– هل أنت بخير؟ وشهقت قائلة:

– نعم... بخير... وجلس «بليك» على ركبتيه وراقبها في صمت، وتقدم نحوها وكأنه يريد أن يساعدها لتنهض على قدميها، ورفعت «دينا» يديها وكأنها تريد أن تقاومه ولكنها طوقته بذراعيها فعانقها بقوة، وسرى الدم في عروقها وذابت عظامها تحت حرارة العناق، وعرفت أنها فقدت السيطرة على نفسها، ولم تحاول أن تستعيدها فقد كانت تريد أن تتركه يسيطر عليها كما يشاء، ومع كل نفس كانت تستنشق رائحته المثيرة الدافئة. لم تشعر «دينا» في حياتها بأنها في مثل هذا الانتعاش. كان كل ركن من قلبها ممتلئا بالحب يتدفق ويفيض مثل البركان، وذابت كل خلافاتهما في العناق الحار، وسمعت صوت طفل يقول:

– اسمع... يا سيد... وسحب «بليك» رأسه وسمع الطفل يقول:

– هل رأيت كلبي الصغير؟ كان ولدًا صغيرًا في السادسة من عمره يقف بجوارهما بركبتين متسختين، ويضع قبعة على شعره البني الفاتح ويحملق إليهما ببراءة... واستطاعت «دينا» أن تشعر بـ «بليك» يسيطر على نفسه ليرد عليه قائلاً:

– لا لم أره يا بني. وقال الصبي مفسرًا:

– إن لونه أبيض وأسود وله ياقة حمراء. وكرر «بليك» قائلاً:

– آسف لم أره.

– إذا رأيته هل تتكرم وتعيده إليّ؟

– بالتأكيد.

– شكرًا. وجرى بعيدًا على الشاطئ، ونهض «بليك» واقفًا وأمسك بيد «دينا» ليشدها معه.

– إلى أين نذهب؟ قالت ذلك وقد توردت وجنتاها.

– سنعود إلى الفندق.

– لماذا؟

– إنك تنسين. ورمقها بنظرة لا تزال تحمل وميض الرغبة، وأضاف:

– إن فردة حذائي وفردة جوربي وساق بنطلوني مبتلة! وقالت «دينا» بخنوع:

– أنا آسفة لذلك.

– وأنا لست آسفًا. ولمس شفتيها بأصبعه وأضاف:

– إذا كان هذا ما أحصل عليه مقابل قدم مبتلة، لا يسعني إلاّ أن أتساءل ماذا كان سيحدث لو أغرقني الماء من رأسي حتى أصبع قدمي! ولم ينتظر «بليك» حتى تتكلّم، فأبعد أصبعه من فوق شفتيها ليمسك بيدها وقال:

– هيّا نذهب. وأومأت «دينا» موافقة في صمت، وظلت اللحظة الساحرة

بينهما في رحلة عودتهما إلى الفندق، ولم يتحدثا عن التغيير الهائل الذي كانت قد أحدثته، ولكنه كان واضحًا في النظرات التي تبادلاها، في الأشياء التي لم يقولاها وفي الطريقة التي حاول كل منهما بها أن يتجنب لمس الآخر. كان كل منهما يعرف أن لمسة واحدة يمكن أن تحرق ولم يرغب في إشعال نار كاذبة! لم يكن أي منهما مستعدًا لأن يعترف بالتغيير في علاقاتهما... وفي الوقت نفسه لم يستطيعا العودة إلى العداء البارد الذي سبق زيارتهما للجزيرة، وكل منهما يلعب لعبة الانتظار، وبعد غداء متأخر في مطعم الفندق دخلا غرفة الاستقبال وتوقف «بليك» والتفت إلى «دينا» وقال:

– سنخبرهم ونعود إلى البيت. وقالت محتجة:

– لكن اليوم السبت. ورد بشيء من نفاد الصبر:

– نعم أعرف، ولكنني لا أنوي قضاء ليلة أخرى هنا. وترددت «دينا» غير متأكدة مما يقصد، وأخيرًا قالت:

– إن الأسِرّة ليست مريحة. والتوى فمه ساخرًا وقال:

– نعم، إنها لينة أكثر مما يجب.

– هل لدينا وقت لنلحق بالزورق؟

– إذا لم تضيعي وقتًا طويلاً في حزم الحقائب يمكن أن نلحق به. ووعدته قائلة:

– لن أستغرق وقتًا طويلاً. وقال «بليك»:

– سوف أخبرهم حتى تستعدي. وفي أثناء رحلة العبور بالزورق لم يشر أي منهما إلى التغيير المفاجئ في الخطط مما جعلهما يعودان مبكرًا، لم يتحدثا عنه وكأنهما لا يريدان أن يخوضا بعمق في السبب، وعندما توقف الزورق في «نيوبورت» توقفا تمامًا عن الكلام، وعندما ركبا السيارة استغرق كل منهما في أفكاره الخاصة، ولم تلاحظ «دينا» إلا بعد لحظات أن «بليك» ترك منعطفًا،

وقالت تذكره:

– كان المفروض أن تنعطف عند ذلك الركن. وقال:

– لن نعود إلى المنزل مباشرة. وانتظرت «دينا» أن يخبرها بوجهتهما، وعندما لم يتكلم سألته:

– إلى أين نذهب؟ ولم يزد على أن قال:

– هناك شيء أريدك أن تريه. وبعد عدّة منعطفات اتجه إلى شارع ظليل بالأشجار وقد تقوست غصونها فوق الرؤوس حتى كادت تلمسها، وأبطأ سير السيارة وهو يقرأ أرقام البيوت، وزاد فضول «دينا» مع كل ثانية من صمته المستمر، وأخيرًا أوقف السيارة أمام مدخل منزل، ونظرت «دينا» إلى المنزل الأبيض الكبير المحاط بعشب أخضر به أشجار كثيرة ونباتات مزهرة، ولم تتعرف المكان فسألته:

– من الذي يقيم هنا؟ كان «بليك» يفتح باب السيارة ويخرج منها، فقال:

– سوف ترين. ورمقته بنظرة قلقة وهو يلف ليفتح بابها. كان قد تمادى بعض الشيء في هذا الغموض، ولكنها لم تقل شيئًا، وسارت أمامه على الرصيف المتعرج حتى الباب الأمامي، وسمعت صوت صلصلة وراءها والتفتت، كان «بليك» يُخرج مجموعة من المفاتيح من جيبه، واختار واحدًا وتقدّمها، وعندما فتح الباب أشار إليها وقال:

– هيّا... ادخلي. ودخلت، على يمينها كانت أعمدة نحتت من خشب الزان تمتد من الأرض إلى السقف لتفصل المدخل عن غرفة الجلوس الفسيحة، ورغم أن الغرفة كانت مفروشة بأثاث قليل، فإن «دينا» لاحظت أن الأثاث الموجود من أثاث شقتهما المخزون.

– ماذا يعني هذا؟ ولم تنظر إليه، وأيقنت أنها عرفت الجواب وشعرت بغضب شديد من تصرفه دون أن يستشيرها، وتجاهل «بليك» سؤالها واستبدله بسؤال

www.rewity.com

من عنده فقال:

– هل يروق لك؟

– هل أفترض أنك اشتريت هذا البيت دون أن تأخذ رأيي؟ هكذا سألت بصوت خافت مختلج وهي لاتستطيع أن تسيطر على غضبها.

– كما أذكر كنت مشغولة جدًا ولا يتسع وقتك للبحث عن مكان نقيم فيه. هكذا ذكرها بنبرة خالية من التعبير وأضاف:

– لكن إذا أردت ردًا على سؤالك أقول كلا، إنني لم أوقع أية وثائق لشراء هذا المنزل.

– إذا كان هذا صحيحًا ماذا يفعل كل أثاثنا هنا؟ وأشارت بيدها بعصبية إلى الأريكة والكراسي.

– لقد استأذنت المالك في إحضاره لأرى كيف يلائم الغرف، وأعطي مصمم الديكور فكرة عما يفعله. والتفتت إليه «دينا» والشرر يتطاير من عينيها:

– إنك تواجهني بأمر واقع بتعبير آخر، ولا يهمك ما أريده. قررت شراء هذا المنزل وإذا لم يعجبني فليس لك إلا أن تبدي الأسف فقط؟ أليس كذلك؟

– إن رأيك يهمني. وبرزت عضلة على فكه وكانت هذه هي العلامة الوحيدة على مدى ألمه من كلماتها، وأضاف:

– ولهذا السبب أتيت بك إلى هنا. ورفعت ذقنها في شك، وتألق عدم التصديق في عينيها رغم لهجته النافية الناعمة.

– لماذا لم تحضرني من قبل؟ إنك لم تنقل كل هذا الأثاث إلى هنا وترتبه في يوم وليلة، وقال «بليك» موافقًا:

– لا، لم يحدث. وكررت «دينا» سؤالها:

– لماذا الآن إذن؟

– لأنني أخذت انطباعًا بأنك مستعدة لأن تبدئي البحث عن مكان يمكن أن

نقيم فيه سويًا. عاد وسألها «بليك»:

– هل كنت مخطئًا يا «دينا»؟ وقالت بعدم اهتمام:

– مادمت هنا يمكن أن تريني بقية المنزل. وتردد «بليك» وكأنه يريد الرد على سؤاله، ثم أشار بيده وقال:

– غرفة المائدة والمطبخ من هنا. وبينما كانت «دينا» تتجول في المنزل أدركت أن فيه كل ما أرادا أن يوجد في بيت خاص بهما. كان واسعًا وبه مكان لاستقبال الضيوف وإقامة الحفلات، وكانت فيه غرفة مكتب لـ «بليك» حيث يستطيع أن يعمل دون إزعاج في المساء، وفي الخلف يوجد رواق كبير.

– ما دمت تعملين فكرت في أن نستعين بخادمة تأتي وتقوم بأعمال المنزل. هكذا قال «بليك» وهما يسيران في الردهة من غرفة النوم الكبيرة إلى غرفة الجلوس، ووافقت «دينا» وهي شاردة الذهن وقالت:

– نعم. وأمام الباب المفتوح لإحدى الغرفتين الخاليتين توقفت لتنظر إلى الداخل ثانية.كانت الغرفتان الإضافيتان أصغر من غرفة النوم الرئيسية ولكنهما واسعتان بقدر كافٍ. وتوقف «بليك» بجوارها وقال:

– هناك شيء لم أسألك عنه.

– ما هو؟ والتفتت لتواجه نظرته.

– لم أسألك عن رأيك في أن يكون لنا أطفال. واضطربت «دينا» قليلاً، وعادت تنظر إلى الغرفتين الخاليتين وتصورتهما غرفتي أطفال وليستا غرفتي ضيوف، وقالت:

– لقد تحدثنا عن هذا من قبل. وتذكرت أنهما قد قررا أن يكون لهما طفلان وربما ثلاثة. وقال «بليك»:

– كان ذلك منذ عدّة سنوات، قبل أن تصبحي امرأة عاملة.

– إن النساء العاملات يربين أطفالاً. قالت هذا وهي تتجنب ردًا مباشرًا

وتتكلم بصورة عامة، وأضاف:

– وهناك بعض النساء العاملات اللاتي يفضلن ألا يكون لهن أطفال، إنني أسأل ماذا تفضلين أنتِ يا «دينا»؟ وبدا أنه يطلب منها في صمت أن تنظر إليه، ورغمًا عنها تركت نظرتها تتحول إليه ولكنها لم تستطع أن تنظر إلى أعلى من فمه، كان فمه قويًا حاسمًا، وشعرت برغبة في أن ترفع أطراف أصابعها وتتحسس قوته.

– نعم، أود أن يكون لي أطفال. كان ردها خافتًا لا يكاد يُسمع.

– هل لديك أي مانع في أن أكون والدهم؟ قال ذلك بصوت أجش، وكرر «بليك» قائلاً:

– هل لديكِ مانع؟ وعندما ظلت صامتة رفعت أصابعه ذقنها حتى تنظر إليه.

– هل كنت مخطئًا بعد ظهر اليوم ونحن على الشاطئ؟ ولم تهتز نظرته الثابتة وهو ينظر بعمق إلى عينيها، بل إلى روحها.

– هل أعطيتني ردك أم أنه كان استسلامًا عابرًا للرغبة؟

– لا أعرف. وأرادت «دينا» أن تنظر بعيدًا ولكنها لم تستطع. كان ذهنها يلف من لمسته عاجزًا عن التفكير المتناسق.

– لا أستطيع أن أفكر.

– لا تفكري... أخبريني بماذا تشعرين؟ وأمسك كتفيها وشد قبضته وكأنه يريد أن ينتزع الرد منها، وحملقت «دينا» إلى الملامح الخشنة، والبشرة السمراء، كان هذا «بليك» زوجها، وليس الرجل الغريب الذي تصورته، ومالت نحوه وأحاطها بذراعيه في عناق دافئ وكأنه لم يبتعد عنها قط، وذابا بنار حبهما الرائعة، وأدركت «دينا» أنه هو فقط الذي يستطيع أن يسعدها، وأحنى «بليك» ذراعًا تحت ركبتيها وحملها إلى غرفة النوم الرئيسية، إلى سرير زواجهما القديم... وعندما وضعها على الفراش طوقته بذراعيها، ولم

يعد أي منهما يهتم بشيء... لا الماضي ولا المستقبل، وكل ما يهمهما أنهما معًا في هذه اللحظة، ودفع ذلك الدموع في عيني «دينا»، دموع الفرح، متألقة سعيدة، ومسح «بليك» الدموع برقة... وحب... واستكانت «دينا» على صدره وتنهدت في سعادة... ولم تكن تريد أن تتحرك، هنا كانت تنتمي... وهنا ستظل تنتمي دائمًا.

- 10 -

كان «بليك» يعبث بشعرها وهو شارد الذهن، ويتحسس بأصابعه أطرافه الحريرية وهو يراقب لونه الأشقر يلمع في الضوء، وكانت عيناها مغمضتين في سعادة قصوى.

– هل تقولين الآن يا «دينا»؟ وخرج صوته الأجش من أعماق صدره.

– أقول ماذا؟ سألته بنعومة وهي غير متأكدة أن الكلمات يمكن أن تعبر عن أي شيء مما تشعر به، وقدم إليها الكلمات التي أراد أن يسمعها وقال:

– قولي... مرحبًا بعودتك يا حبيبي. وأزاحت رأسها إلى الوراء ونظرت إلى وجهه وقد أضفى الحب بريقًا جميلاً على زرقة عينيها:

– مرحبًا بعودتك يا حبيبي. هكذا كررت الكلمات بصوت مفعم بمعنى ما تقصده. ورفع رأسها قليلاً ثم لمس بأصابعه المرتجفة شفتيها وكأنه يعتذر عن أنه آلمها وقال:

– لقد انتظرت طويلاً لأسمع ذلك. وبدا شيء من الحزن على فمه القوي، وأضاف:

– أما الآن فلا يبدو أنه أمر مهم.

– تساءلت ألف مرّة، ترى هل كان سيختلف الوضع لو أنني عرفت أنك حيّ قبل أن أراك في المنزل؟ هكذا قالت «دينا» في همس وقلبها يتألم من الوقت الذي ضيعه كل منهما وأضافت:

– لقد تصورت أن أحدًا خطرت له فكرة دعابة سخيفة. وقال «بليك»:

– كان يجب أن أبذل مجهودًا أكبر حتى أتصل بك أو أجعل السلطات تتصل بك قبل أن أعود، كنت أعرف أنها ستكون صدمة، لقد حاول «شت» أن يقنعني بأن أتركه يبلغك النبأ، ولكنني لم أستمع إليه حتى عندما أصيبت أمي نفسها بالذهول لدرجة أنها لم تصدق أنني أمامها، كنت أتوقع كثيرًا، ولم يخطر على بالي أن ردّ فعلك سيكون هكذا... وفي النهاية ذهبت إلى أمي ولكنني حاولت أن أجعلك تعودين إليّ. وقالت مفسرة:

– لم تكن صدمة فقط، كان شعورًا بالذنب أيضًا لأنني خطبت لـ «شت»، ثم فوجئت بك... فوجئت بزوجي، أردت أن أجري إليك ولكنني لم أستطع... وفجأة رأيتك مختلفًا... رأيتك شخصًا غريبًا وكأنك رجل لم أعرفه. وتنهدت «دينا»، وهمس بابتسامة ساخرة:

– في شعوري الباطن لم أكن أريد أن أعترف بأنه حدثت أية تغييرات في أي منا، كنت أريد كل شيء على ما كان عليه... وكأنني لم أتغيب إطلاقًا.

– ومع ذلك كان يمكن أن يختلف الوضع لو لم أكن مخطوبة لـ «شت». واستدارت «دينا» لتضع رأسها ثانية على صدره البرنزي وتستمع إلى الإيقاع القوي لدقات قلبه، وأصر قائلاً:

– لعل ذلك كان سيجعل كلامنا أقل حذرًا نحو الآخر، لكن كان سيتعين علينا رغم ذلك أن نتكيف مع نمونا باعتبارنا بشرًا. وبدأت «دينا» تجادل وقالت:

– نعم، ولكن «شت»... وقاطعها «بليك» قائلاً:

– لم يكن في يوم من الأيام خطرًا على علاقتنا، إنني مقتنع تمامًا بأنه حتى

لو حدث ولم أعد لما تزوجته إطلاقًا، ربما كنت ستوافقين على الخطبة لمدة عام، ولكنك ذكية جدًا وكان لابد من أن تدركي أنه لا يناسبك. وارتاحت... و فجأة عرفت أنه على حق وتلاشى الشك الصغير الأخير، وابتسمت.

– ألم تشعر بقليل من الغيرة من «شت»؟ كان نصف السؤال جادًا ونصفه مزاحًا، وقهقه ضاحكًا وأمسك خصلة من شعرها وقال:

– لا، لم أشعر قط بالغيرة منه.

– قط؟ قالت «دينا» هذا وهي تشعر بشيء من خيبة الأمل.

– قط... هكذا قال «بليك» بنبرة واثقة تمامًا، ثم أضاف:

– ومع ذلك شعرت في بعض الأحيان بأنني أحسده.

– لماذا؟

– لأنك كنت طبيعية جدًا معه، لطيفة ودودة، تثقين به وتعتمدين عليه وتلجئين إليه عندما تشعرين بالاضطراب، كنت أتمنى أن تلجئي إليّ... ومضى يقول مفسرًا ما يقصده:

– إن غريزة الرجل في الرغبة في الحماية لا تقل قوة عن غريزة الأمومة في المرأة، وهذا هو الذي جعلني أحسد «شت» لأنك لم تحاولي أن تلجئي إليّ لتشعري بالأمن.

– إنني أشعر بالأمن الآن... وعانقته «دينا» واستطردت تقول:

– إنني أحبك يا «بليك»، ولم أتوقف قط عن حبك.

– هذا هو في الواقع ما أردت أن أسمعه. وشد ذراعيه حولها حتى سحق ضلوعها، وأضاف:

– مرحبًا بعودتك كانت مجرد بديل لعبارتك أحبك. وكررت قائلة:

– إنني أحبك، ولا حاجة إلى أن تدفعني إلى أن أقول ذلك، سوف أظل أرددها حتى تضيق بها. ورد وهو يهز رأسه:

– أبدًا... يا حبيبتي، لن أضيق بها. وساد صمت طويل بينما أخذ كل منهما ينعم في داخله باكتشاف حبهما من جديد، ويذكر الكلمات البسيطة التي عبرت عن شعورهما ببلاغة، وهمست «دينا» قائلة:

– لا أحب أن أثير موضوعًا مبتذلاً، لكن أين سننام الليلة؟ وقال «بليك»:

– إنني لا أريد أن أنام.

– ألا تشعر بالتعب؟ كانت ليلتها التي قضتها بلا نوم على الحشية اللينة قد بدأت تؤثر فيها إلى جانب السعادة الناعسة التي غمرتها وهي بين ذراعيه. قال معترفًا وهو يبتسم:

– إنني مرهق، لكن أخشى أن أنام ثم أستيقظ فأجد أنه لم يحدث شيء من هذا... أو أسوأ من هذا، أن أجد نفسي لا أزال في الأدغال! قالت وهي تتحسس صدره بأصابعها:

– سأكون معك هناك، أنت «طرزان» وأنا «جين». وقهقه «بليك» ضاحكًا وقبل شعرها وسألته «دينا»:

– إنني جادة يا «بليك»، هل سنذهب إلى المنزل الليلة؟ ورد:

– لن نذهب إذا كانت الصناديق في الجراج فيها بطانيات.

– هل أحضرت كل شيء كنت أخزنه؟ وقال مؤكدًا:

– كل شيء!

– إذن توجد بطانيات في الصناديق التي في الجراج، الواقع أنه يوجد كل ما نحتاج إليه لأبدأ في القيام بأعمال البيت. وسألها «بليك»:

– هل هذا ما تريدينه؟ أن نبقى هنا الليلة؟

– ظننت أنك قررت فعلاً أن نبقى. وسألها موضحًا:

– إنني أسألك هل هذا ما تريدينه؟ وتمتمت «دينا» قائلة:

– يجب أن أتذكر ذلك وأشير إليه على مفكرة الحائط: سألني «بليك» عما أريد أن أفعله بدلاً من أن يسألني عما سأفعله! وقال ضاحكًا:

– وهو كذلك أيتها المثيرة للمتاعب، إنك تعرفين ما أسأل عنه حقًا. واتكأت «دينا» على مرفقها بجانبه وقالت:

– وتريد أن تعرف إذا كان المنزل يعجبني.

– هل يعجبك؟ وردت وهي تبتسم:

– نعم... إنني أحبه جدًا في الواقع... إن فيه كل ما أردنا أن يوجد في بيتنا.

– حسنًا، هذا هو ما اعتقدته أيضًا، في صباح الاثنين سأطلب من السمسار إعداد الأوراق لنوقعها، والآن لا أعتقد أنه سيتضايق إذا بدأنا نفتح الصناديق في الجراج.

– وماذا إذا باعه لشخص آخر.

– لن يفعل، لقد دفعت مبلغًا لأحتفظ به حتى تريه وتوافقي على اختياري كما كنت أرجو.

– هل كنت متأكدًا أنه سيعجبني؟ وأجاب «بليك»:

– نعم، بقدر ما كنت متأكدًا أنك ستحبينني ثانية. وقالت «دينا» وهي تغيظه:

– مغرور! وماذا لو أنه لم يعجبني؟

– ولكنه يعجبك، وتستطيعين أن تقومي بما يروق لك من ديكور. قالت محذرة:

– قد ينتهي به الأمر إلى أن يبدو مثل فندق!

– لا! وقهقه ضاحكًا وشدها إلى ذراعيه.

كانت الثلوج تتساقط خارج نافذة مكتبها من سماء رمادية لؤلؤية، ولاح بريق سعيد في عيني «دينا» وهي تبتسم إلى سماعة التليفون التي وضعتها على أذنها، ووعدت قائلة:

– شكرًا... سوف أخبره... عيد سعيد. وبعد أن وضعت السماعة حولت

www.rewity.com

اهتمامها إلى الأوراق على مكتبها وهي شاردة تردد أغنية عيد الميلاد... ورن جرس التليفون الداخلي وأمسكت بالسماعة ثانية، وما إن كادت تقدم نفسها حتى سمعت صوت «بليك» يأمرها بحدّة قائلا:

– أريدك في مكتبي فورًا.

– ماذا؟

– سوف نبحث الأمر عندما تأتين. ووافقت «دينا» بهدوء وقالت:

– حسنًا جدًا... أمهلني ربع ساعة. ورد قائلاً:

– قلت الآن. وذكّرته بجفاء قائلة:

– نسيت أن المسافة بين غرفتي الصغيرة وبين مكتبك تستغرق هذه المدة؟

– الآن يا «دينا» وقطع المكالمة، وتنفست بعمق وحملقت إلى السماعة قبل أن تعيدها إلى مكانها. ثم خرجت إلى الردهة وأغلقت باب غرفة مكتبها، وبعد ثماني دقائق كانت «آمي ونتورث» تنظر إليها من فوق آلتها الكاتبة وتشير إليها بالدخول إلى مكتب «بليك»، وطرقت «دينا» الباب مرّة ثم فتحته لتدخل. كان «بليك» يجلس خلف مكتبه ويتكئ على ظهر كرسيه عندما دخلت «دينا» والغضب يبرق في عينيه الداكنتين ولم تعرف السبب.

– أردت أن تراني يا «بليك». هكذا قالت وهي تتقدم نحو مكتبه وتبتسم برقة لزوجها، لكن الابتسامة لم تخفف من حدّة غضبه فمضت تقول:

– هل استدعيتني لتعاقبني على شيء؟

– تمامًا كما تقولين. وأشار إلى ورقة على مكتبه ونظرته النافذة لا تغادر وجهها لحظة، قال:

– ما هذا؟ وتناولت «دينا» الورقة وألقت إليها نظرة، وأجابت وهي تعبس:

– هذا طلب الميزانية الذي روجع، من أين أتيت به؟ وقال «بليك»:

– من «شت». وتحول فمها إلى خط مستقيم من الكآبة وقالت:

– لم يكن من المفروض أن يعطيك إياه، كنت أريد أن أراجعه معك عندما أقدمه.

– إنه لم يعطني إياه، لقد أخذته، وتستطيعين أن تراجعيه معي الآن، أهي المراجعة الثالثة أم الرابعة للميزانية؟

– الثالثة. كانت «دينا» مصرّة على ألا تجاريه في اللهجة اللاذعة وأضافت:

– ولو قلت لي لماذا أردت أن تتحدث معي لأحضرت بعض المستندات.

– لا أهتم بالمستندات، أريد توضيحًا، ما سبب الزيادة هذه المرّة ولا تقولي لي إنه التضخم. وبدأت تقول:

– إنها مجموعة من العوامل... لقد اضطررنا إلى تغيير وكالات الإعلان للحملة لأن الشركة الأولى لم تستطع العمل بسبب مشكلة داخلية، ومعنى هذا زيادة في السعر. وقال يؤنبها:

– كان يجب أن تتأكدي أكثر من الشركة الأولى. وأجابت بحدّة على نقده:

– لقد حدثت مشاكلها بعد أن وقعنا عقدًا معها. وبدا عدم التصديق في نظرته ولكنه لم يتابع هذه الناحية وقال:

– وماذا أيضًا؟

– اضطررنا إلى مراجعة التكاليف بالنسبة إلى تجديد الفنادق؟ وقال من بين أسنانه:

– نعم، أعرف أن نفقات إعادة ديكور الفنادق زادت في كل مرّة تقدمين فيها الميزانية، هل تعيدين الديكور أم تعيدين بناء الفنادق؟ وقالت وقد بدأ الغضب يعتمل في نفسها:

– في بعض الأحيان لا أعرف أنا نفسي، هل رأيت ذلك الفندق في «فلوريدا»؟ إنه أشبه بمستشفى، وحاولنا أن نغيره بالطلاء والصور، ولكنه يحتاج إلى واجهة جديدة تمامًا. ورد بغضب:

– لماذا لا تقررين هدمه وبناء فندق جديد؟

– إن هذا أفضل اقتراح سمعته حتى الآن، لماذا لا تعرض الفكرة على قسم التوسع؟

– قد يكون هذا أرخص قرار إذا تذكرت نسبة الزيادة التي تقدمينها كل مرّة.

ونهض «بليك» من مكانه، ووقف خلف المكتب ينظر إليها وقال:

– كان يجب أن أعرف أن هذا سيحدث، لقد كلفت امرأة بالمهمة وأعطيتها سلطة مطلقة، فاعتقدت أن هذا يعني شيكًا على بياض! واحترقت عيناها بالدموع الساخنة، وقالت بصوت مخنوق من الألم:

– إذا كان هذا ما تتصوره لماذا لا تقوم أنت بالمهمة؟ إنني لم أطلب وظيفة أولاً، وإذا اعتقدت أن الرجل يقوم بالعمل على نحو أحسن، تفضل وقم به أنت.

– لا تظني أنني لا أستطيع.

– «بليك شاندلر» العظيم! أوه إنني واثقة بأنك تستطيع أن تقوم بالعمل على نحو أحسن بكثير. قالت «دينا» هذا ساخرة واستدارت وهي تشعر بالاشمئزاز والألم، ثم أضافت:

– ولا أعرف ما الذي جعلني أعتقد أنني أريد طفلك. ورد «بليك» قائلاً:

– ولا أنا، من حسن الحظ أنك تستطيعين الاختيار.

– وهذه هي المشكلة، لم أعد أستطيع الاختيار! وأجهشت بالبكاء. وظلت عبارتها معلقة في الهواء لحظات طويلة ثقيلة قبل أن يقطع «بليك» الصمت بسؤال خافت:

– ماذا قلت؟

– ألم أخبرك؟ هكذا ألقت بالسؤال فوق كتفها وذقنها يرتجف:

– إنني حامل. وبعد لحظة كانت يداه حول كتفيها لتديراها برقة، وظلت «دينا» تخفض ذقنها وهي تشعر بالغضب والألم من هجومه اللاذع، وسألها بهدوء:

– هل أنت متأكدة؟ وأغمضت عينيها لتمنع الدموع وقالت:

– نعم متأكدة، لقد اتصل بي تليفونيًا الدكتور «كوزغروف» منذ دقائق ليؤكد

نتيجة الاختبار.

– لماذا لم تخبريني؟

– كيف كنت أستطيع وأنت تثور في وجهي هكذا؟ وفتحت عينيها لتنظر إليه، ولمست أصابعه خدها برقة وقال:

– نعم، لقد كنت غاضبًا.

– نعم. هكذا أكّدت، لكن صوتها لم يحمل أي غضب.

– لقد فقدت صوابي لحظة، لا يهمني أن أفقد كل شيء مادمت لا أفقدك.

كان الوهج الذي يشع من وجهه دافئًا قويًا، ونعمت «دينا» بنور الحب، وعادت إليها تلك السعادة التي غمرتها قبل شجارهما بقوة مضاعفة، وقالت موافقة:

– لا يهم أي شيء مادمت لي...وحولت شفتيها إلى يده لتطبع قبلة في كفه المفتوح، وأحنى رأسه وعانقها...وظلت بين ذراعيه تنعم بدفء عناقه، وسرى لحن رائع في عروقها...لحن الحب،وعندما رفع رأسه أخيرًا بدت على فمه ابتسامة ساحرة خففت من ملامحه الخشنة، وامتدت يداه إلى شعرها ثم رفع وجهها لينظر إليها متفحصًا، وأدركت «دينا» أن هذه اللحظة ستعتز بها إلى الأبد في قلبها.

– سوف تضعين طفلاً حقًا؟ كانت الدهشة في عينيه وهو يحول الجملة إلى شبه سؤال، وأومأت «دينا» إليه قائلة:

– نعم. وقال وهو يعبس:

– هل أنتِ بخير؟

– أنا بخير. وابتسمت ثم تنهدت وقالت:

– لماذا نتشاجر يا «بليك»؟

– أعتقد أن هذه طبيعتنا. وابتسم هو أيضًا ثم أضاف:

– يجدر بنا أن نعتاد تلك الحقيقة، لأننا قد نفعل الشيء نفسه طوال

حياتنا.

– دائمًا نختبر بعضنا لنعرف من منا الأقوى.

– لا تقلقي يا حبيبتي، سأجعلك الأقوى من حين إلى آخر. وبدأت تحتج بغضب على ملاحظته المتعالية، فقالت بحدة:

– «بليك». وقال ضاحكًا:

– هل تستطيعين أن تتصوري شخصية أطفالنا؟ يحتمل أن يكونوا متمردين صغارًا يتسمون بالعناد وحب الجدل. وردت «دينا» موافقة:

– يُحتمل، وسوف نحب كل لحظة نزاع لتربيتهم.

– كما نحب كل لحظة نزاع تحدث بيني وبينك. وعانقها برقة وحملق إلى عينيها وقال:

– متى تتوقعين ولادة الطفل؟

– في شهر تموز (يوليو).

– ستكون الحملة الجديدة في قمتها عندئذ، وأستطيع أن أراك تديرين العملية من عنبر الولادة. وقهقه «بليك» ضاحكًا، وقالت «دينا» بتهكم:

– تقصد أنني لا أزال أشغل الوظيفة؟

– بالطبع. هكذا رد بابتسامة متعجرفة، وأضاف:

– ألا يسعدك أن يكون رئيسك متفهمًا ويتركك تحددين ساعات عملك في المنزل إذا كان هذا يناسبك.

– إنني سعيدة الحظ جدًا. ووقفت على أطراف أصابعها وطوقت عنقه بذراعيها واستطردت قائلة:

– سعيدة الحظ في أكثر من شيء...

– «دينا».. وتمتم «بليك» باسمها هامسًا وهو يعانقها بحب.

تمت بعون الله